المطامعُ الصّهيونية التوسّعيّة

بقلم

عبدالوهاب كيالي ، اس.ع.



منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث
بيروت

تمّوز (يوليو) ١٩٦٦

« لقد ارادوا ان تمتد حدود دولة فلسطين اليهودية الى ابعد ما وصلت اليه حدودها في اي حقبة من حقب التاريخ » .

هانز كوهن

من مقالته « صهيون والفكرة القومية اليهودية »
١٩٥٨

« ليس من السخف ان نتصور قادة العرب يطالبون في المستقبل بالحاح « بالعودة الى حدود عام ١٩٦٦ او عام ١٩٦٧ » تماماً كما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧، تلك الحدود التي رفضوها في الماضي ».

ابا ايبان

وزير خارجية اسرائيل
في مقالة نشرها في مجلة « فورين افيرز » الاميركية
صيف ١٩٦٥

المحتويات

صفحة

مقدّمة

تحتل القضية الفلسطينية الحيز الاكبر من الاهتمام السياسي في الوطن العربي لكونها القضية العربية الاولى وميـــدان الصراع التاريخي الحاسم بين القوى الخارجية المتآمرة على الكيان والوجود القومي للعرب وبين قوى الحياة والنماء والتقدم في الوطن العربي .

وعلى الرغم من هـــذا الاهتمام السياسي اليومي فان الخطر الصهيوني على المصير العربي لم ينل حقه من التفكير والتحليل العلمي ولم يأخذ قسطه من الجهد الفكري الجدي عند المفكرين العرب الذين احجموا حتى الآن – بشكل عام – عن دراسة العقل والتفكير الصهيوني دراسة علمية شاملة تضيء الطريق امام معرفة مخططات العدو ومطامعه واساليبه وغاياته سلفاً في كل مجال وعلى كل صعيد .

كثيرون هم الذين يعتقدون بان العدوان الصهيوني كان كارثة حلت بشعب فلسطين وان ما تبيته الدولة الصهيونية من عدوان وتآمر لا يتعدى نطاق الرقعة الفلسطينية ، اي ان هناك من

يعتبر الخطر الصهيوني مشكلة قطرية تهم شعب فلسطين بالدرجة الاولى والاخيرة وان دور الاقطار العربية او موقفها لا يتعدى نطاق المساندة والولاء للأخاء العربي . بل ان بعضهم يعتقد ان الحديث عن المطامع التوسعية الاسرائيلية لا يعدو كونه حديثاً دعائياً فيه الكثير من الخيال والاوهام وان لا وجود لهـذه المطامع والمخططات العدوانيـة الصهيونية في عالم الحقائق والوقائع .

ان هذه النظرة وتلك الآراء تعود في مجملها الى الجهل بماهية الحركة الصهيونية واهدافها ومخططاتها . ولئن اعتبر الفلاسفة واهل الفكر شعار « اعرف نفسك » بمثابة رأس الحكمة ومفتاح التبصر ، فان « معرفة العدو » فرضية حتمية لا بد منها في مجال تحقيق معرفة الذات وتقويتها وتعزيزها وحمايتها من الزوال والاندثار .

والحقيقة التي تبدو جلية واضحة لكل متتبع لفكر العدو ودوافع اعماله ومخططات مستقبله هي ان الصهيونية **خطر قومي** يهدد كيان الامة العربية التاريخي الحضاري . وانها **خطر مادي** يهدد جميع الدول المجاورة للدولة الصهيونية بالغزو والعدوان والاحتلال .

وفي هذه الدراسة سوف نحاول رسم جذور المطامع التوسعية الصهيونية وبذورها، ونتائجها في الماضي واحتمالاتها في المستقبل،

على ضوء العوامل العقائدية والاقتصادية والعسكرية ، وذلك من خـلال متابعة الافكار والكتابات والتصريحات والمذكرات والمطالب الصهيونية ، ومن خلال تتبع المراحل التطبيقية في مجال تنفيذ المخطط الصهيوني ، ومن خلال نظرة قادة اسرائيل الى الضرورات الاساسية التي لا غنى عنها لضمان سلامة دولتهم وبناء مستقبلها . وسوف نركز البحث في هذه الدراسة عـلى المطامع الصهيونية — في الاراضي الخارجة عن نطاق حدود دولة اسرائيل كما هي الآن — في جميع الدول المجاورة لها : في الاردن وفي سورية وفي لبنان وفي الجمهورية العربية المتحدة ، وعلى الاشكال النظرية والعملية التي تتجسد فيها هذه المطامع .

الفصل الاول

الفكرة الصهيونية :
من التكوين النظري الى الأداة التنظيمية

أ – المراحل الاولى : التكوين النظري

ان البحث عن جذور المطامع الصهيونية والاطار الفكري والتخطيطي للاعمال العدوانية الاسرائيلية يردنا الى نشأة الفكرة الصهيونية ودوافع ظهورها ، اي الى اصول هـــذه الفكرة وركائزها ومفاهيمها واهدافها . وهنا لا بد لنا من التفريق بين مرحلتين : مرحلة ما قبل عام ١٨٩٧ ، حين كانت الصهيونية في طور التكوين الفكري ، ومرحلة ما بعد عام ١٨٩٧ ، عندما اتخذت الحركة الصهيونية شكلها التنظيمي واصبح للفكرة اداة تعمل بشكل دائب ومستمر لتحقيق غايات هذه الحركة كما رسمها المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة بال السويسرية في ذلك العام .

يقول اسرائيل كوهين في كتاب له عن تاريخ الصهيونية [١] ان غاية الفكرة الصهيونية هي « اعادة اليهود كأمة الى فلسطين باعتبارها وطنهم القومي القديم » . بيد ان تبلور الفكرة الصهيونية على هذا الشكل لم يتحقق الا في تسعينات القرن التاسع عشر . ففي القرن الثامن عشر لم تكن الصهيونية لتتجاوز تعلق اليهود الروحي بنصوص التوراة وطقوس الاعياد والاحتفالات الدينية ، ولم يكن تعلق اليهود « بصهيون » يعني العودة الفعلية الجسدية الى القدس . وكانت دوافع رغبة بعض اليهود في العودة الى فلسطين دينية محضة .

والسبب في التأكيد على الجانب الديني والروحي عند اليهود في القرن الثامن عشر حتى منتصف التاسع عشر يعود الى اتجاه الغرب نحو التسامح الديني . ولكن بعض بناة الامبراطوريات في الغرب وجدوا ان الاستعانة باليهود عن طريق اثارة الشعور الديني – القومي بالرغبة في العودة الى فلسطين يخدم مصالحهم في منطقة الشرق الاوسط. وقد كان الاقتراح الذي تقدم به نابوليون بونابرت عام ١٧٩٩ اثناء حصاره لمدينة عكا ، عندما دعا اليهود للانضواء تحت علمه لاعادة تأسيس القدس القديمة واطلق على اليهود لقب الورثة الشرعيين لفلسطين ، هو الاول من نوعه في

---

(١) اسرائيل كوهين « A Short History of Zionism » (تاريخ الصهيونية المختصر) ، نيويورك ، فردريك مولر ، ١٩٥١ .

عصر ما بعد النهضة الاوروبية . ويذهب بعض المؤرخين الى القول ان نابوليون قد تأثر برسالة احد اليهود الفرنسيين حول ضرورة تجمع اليهود كأمة في القدس كنتيجة لفشل الثورة الفرنسية في تحقيق التسامح الديني . الا ان ناحوم سوكولوف يؤكد في كتابه « تاريخ الصهونية » [٢] ان نداء نابوليون كان يرمي الى كسب ولاء حاييم فارحي اليهودي الذي كان لمدينة عكا بمثابة العصب المالي والتمويني . وعلى اي حال فان محاولات نابوليون في هذا المجال لم تؤد الى مضاعفات تذكر .

وفي مطلع القرن التاسع عشر شهدت بريطانيا تبني بعض رجال الدين المسيحي لدعوة عودة اليهود الى فلسطين تنفيذاً لوعود التوراة وعلى امل ان يؤدي ذلك الى دخول اليهود في الدين المسيحي [٣] . كذلك ظهر بعض التشجيع لفكرة السهر على سلامة اليهود المقيمين في القدس ورفع مستواهم انطلاقاً من دوافع دينية وانسانية. ولكن تلك الفكرة لم تتخذ شكلاً عملياً لانعدام وجود منظمات تنفيذية .

بيد ان التبني الحقيقي لفكرة تشجيع استقدام جاليات

---

(٢) ناحوم سوكولوف « History of Zionism » (تاريخ الصهيونية) ، لندن ، لونغمان غرين وشركاه ، ١٩١٩ ، الجزء الاول .

(٣) كوهين ، ص ١٦ .

يهودية قد وجد مجاله الحيوي عند بناة الامبراطورية البريطانية ، من امثال اللورد شافتسبري ولورانس اوليفانت ، وعند بعض القادة العسكريين البريطانيين ، من امثال الكولونيل تشارلز هنري تشرشل والكولونيل كوندر والكولونيل جورج غولر ، لاسباب تتصل بسياسة بريطانيا ومطامعها ومصالحها الاستعمارية في المنطقة .

اما ردة الفعل عند اليهود فقد ارتبطت بظهور « المشكلة اليهودية » في القرن التاسع عشر ومحاولة بعض اليهود ايجاد حل لهذه المشكلة بتأثير من الظروف والآراء والاتجاهات السائدة في اوروبا . ولكن ما هي « المشكلة اليهودية » .

يقول تيودور هيرتزل في كتاب « الدولة اليهودية »[٤] ان اليهود يعانون من الاضطهاد اينما وجدوا باعداد كبيرة ، وقد اتهم جميع الامم التي يوجد في مجتمعاتها جاليات يهودية باللاسامية « سواء مكبوتة او معلنة »[٥] . اما اسباب اللاسامية عنده فكثيرة ، اهمها فقدان اليهود المقدرة على الاندماج بالمجتمعات الغربية في العصور الوسطى[٦] ، وانصراف الاغنياء من اليهود

(٤) تيودور هيرتزل « The Jewish State » (الدولة اليهودية) ، لندن ، ريتا سير ، الطبعة الرابعة ، ١٩٤٦ ، ص ٢٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

الى المراباة والتحكم في القطاع المالي ، وهو ما يسبب كراهية الناس لهم .

غير ان التعمق في البحث عن اسباب ظهور (الحلول الصهيونية) « للمشكلة اليهودية » يقودنا الى التعرض لهذه الحلول ضمن اطار تفاعلها التاريخي مع الاحوال والآراء السائدة في اوروبا في القرن الماضي . ولن نتعرض في هذا المجال الى تلك الحلول بالتفصيل بل يكفينا ان نلقى عليها نظرة سريعة .

على الرغم من تقدم العديد من اليهود والمسيحيين باقتراحات تطالب بايجاد مستعمرات يهودية في فلسطين او باعادة بناء دولة اسرائيل في الارض المقدسة فان آراء زفي هيرش كاليشر (١٧٩٥ – ١٨٧٤) كانت الاولى من حيث الالتزام بالجدية والدعوة الى العمل التنفيذي والانطلاق من حجج دينية ، ومن حيث انها ادت الى انشاء جمعيات اخذت على عاتقها القيام بمهات العمل الاستعماري على ارض فلسطين[٧] .

استند كاليشر في كتابه « البحث عن صهيون » الى فقرات من التلمود وقال بان خلاص اليهود لن يتحقق على يد مسيح منتظر بل عن طريق العمل على تخليص الذات ، وان على اليهود

(٧) اسرائيل كوهين « The Zionist Movement » (الحركة الصهيونية) ، لندن ، فردريك مولر ، ١٩٤٥ ، ص ٥١ .

ان يبادروا الى استعمار فلسطين فوراً ودون تردد . كذلك حث اغنياء اليهود على انشاء جمعية تتولى استعمار فلسطين وتشجيع يهود شرق اوروبا والمانيا على الهجرة الى فلسطين وتكوين حرس من الشباب القومي لحماية هذه المستعمرات وانشاء مدرسة زراعية في فلسطين لتدريب البنات والاولاد من اليهود على اعمال الزراعة [٨] . واستجابة لنداء كاليشر وبالتعاون معه اسست في برلين عام ١٨٦٤ «جمعية استعمار ارض اسرائيل»، كما اقـدمت الجمعية اليهودية الفرنسية Alliance Israelite Universelle على تأسيس اول مدرسة زراعية يهودية في فلسطين بالقرب من يافا بناء على إلحاح كاليشر [٩] . وهكذا يكون كاليشر قد حث على العودة الى فلسطين عن طريق الهجرة والاستعمار وقدم حله « للمشكلة اليهودية » من منطلقات دينية .

بيد ان الحلول الصهيونية «للمشكلة اليهودية» كانت اكثر تأثراً بالتيار القومي ـ العنصري في اوروبا منهـا باية تيارات فكرية اخرى ، لا سيما وان القرن التاسع عشر هو عصر القوميات والوحدات القومية في اوروبا . وقد تأثر موسس هيس (١٨١٢ – ١٨٧٥) بنجاح الدعوة القومية الايطالية في توحيد ايطاليا فدعا في كتابه « روما والقدس » الى قومية يهودية قائلا : انه « ما

(٨) المصدر نفسه .

(٩) المصدر نفسه .

من شعب معاصر يناضل من اجل بلاد اجداده يستطيع ان ينكر حق الشعب اليهودي في ارضه الخاصة به دون ان يوقعه ذلك في تناقض صارخ » [١٠] . وقد طالب الكاتب فرنسا بايجاد مستعمرات يهودية من السويس الى القـدس ومن الاردن الى المتوسط ، ولكن هذه الدعوة ذهبت ادراج الرياح نظراً للظروف المواتية لاندماج اليهود الالمان في مجتمعاتهم آنذاك ولانه لم يكن بامكان اليهود في البلاد الاخرى الاطلاع على اعمال هيس بسبب الحواجز اللغوية [١١] .

وقد تعزز الاتجاه نحو اعتناق فكرة القومية اليهودية اثر اغتيال اسكندر الثاني قيصر روسيا عام ١٨٨١ وازدياد وطأة اضطهاد اليهود هناك . وفي عـام ١٨٨٢ نشر ليو بينسكر (١٨٢١ – ١٨٩١) كتابه « التحرير الذاتي » ، الذي اظهر فيه بوضوح الحل القومي للمشكلة اليهودية عن طريق تجميعهم كأمة في فلسطين او في غيرها من البلدان وشدد على اهمية مبادرة اليهود انفسهم الى حل « مشكلتهم » . وقد استند بينسكر في حله المقترح الى الرأي القائل بان التقدم البشري العام لن يحسن من وضع اليهود ولن يخفف من قلقهم « وان اللاسامية لا يمكن ان تزول طالما اننا (اليهود) لا نملك وطنا قومياً خاصاً بنا » [١٢] .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

(١١) كوهين، (المختصر)، ص ٢٢ .

(١٢) سوكولوف ، ص ٢٢٤ .

والسبب في ذلك ، في رأي بينسكر ، يعود الى الظن بان الشعور بالكراهية نحو اليهود واحتقارهم متأصل في النفسية البشرية[١٣] .

لاقت آراء بينسكر هذه تجاوباً كبيراً لدى اعضاء جمعيات « حب صهيون » التي انتشرت في اعقاب عام ١٨٨٢ والتي كانت تنادي بعودة اليهود الى فلسطين واستعمارهم لاراضيها . وقد شارك بينسكر في اعمال هذه الجمعيات ومهد فكراً وتنظيماً لنشوء الحركة الصهيونية العالمية .

ولكن آراء بينسكر واعمال جمعيات حب صهيون سرعان ما تعرضت لانتقادات واحد من كبار المفكرين السياسيين اليهود في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ونعني به اشر غينزبرغ ١٨٥٦ - ١٩٢٧ المعروف بـ « احد ها عام » . فقد ذهب احد ها عام الى القول بان منطلقات جمعيات حب صهيون قدمت تصوراً خاطئاً لحل مشكلة اليهود اذ اقترحت اعادتهم وتجميعهم في فلسطين . وقال ان الحل لا يتم بواسطة نقل اليهود من مكان الى آخر بل عن طريق الحفاظ على الروح اليهودية وتطويرها[١٤] . اما طريقة تحقيق ذلك فمتصلة بايجاد مركز روحي ثقافي يهودي في فلسطين . وهكذا سعى احد ها عام

(١٣) المصدر نفسه .

(١٤) كوهين ، (الحركة) ، ص ٦٣ .

الى حل المشكلة اليهودية عن طريق الاحياء الثقافي والروحي لليهودية وعرفت صهيونيته بالصهيونية الثقافية او بالصهيونية الروحية .

وفي عام ١٨٩٦ نشر تيودور هيرتزل كتابه الشهير « الدولة اليهودية » الذي بلور الفكر الصهيوني وحدد معالم الطريق الصهيوني الى حل « المشكلة اليهودية » . انطلق هيرتزل من التسليم بوجود « المشكلة اليهودية » في كل مكان يوجد فيه اليهود باعداد كبيرة ، وقال بان هذه المشكلة سوف تستمر حتى تجد حلاً سياسياً . والمشكلة – في نظره – هي اللاسامية . اما اسبابها فعديدة اهمها فقدان اليهود القدرة على الاندماج في المجتمعات التي يقيمون فيها منذ العصور الوسطى ، لتعاطيهم اعمال الربا على نطاق واسع ، وسيطرة الاغنياء منهم على القطاعات المالية ، واتجاه البروليتاريا اليهودية نحو الانخراط في صفوف الاحزاب الثورية .

وقد وضع هيرتزل خطة في كتابه المذكور لتحقيق الحل[١٥] تتلخص في الحصول على قطعة من الارض ، تكون كافية لسد الحاجات المشروعة للامة ، على ان يترك تنفيذ الباقي لليهود انفسهم . وفي مجال تحديد قطعة الارض اشار هيرتزل الى ان الاقتراحات الرئيسية تتركز حول فلسطين والارجنتين . ومع

(١٥) هيرتزل ، ص ٢٨ - ٣٠ .

ان هيرتزل لم يعلن خياره النهائي في كتابه ، فقد اعرب عن شعوره بان فلسطين هي الوطن التاريخي لليهود وان اسمها سوف يجذب الشعب اليهودي بقوة (١٦) .

كان اقدام هيرتزل على نشر كتابه ايذاناً ببـــدء جهوده الواسعة من اجل انشاء حركة صهيونية عالمية تعمل على قيام الدولة اليهودية التي دعا اليها في كتابه كحل «للمشكلة اليهودية» ؛ تلك الجهود التي اينعت ثمارها في ٢٩ آب ١٨٩٧ حين جمع هيرتزل ممثلين عن اليهود في اقطار اوروبية واميركية عديدة وعقد المؤتمر الصهيوني الاول برئاسته واقر ما سمي ببرنامج بال .

وقبل الانتقال الى الحديث عن تبلور الحركة الصهيونية العالمية واعتمادها الشكل التنظيمي الشامل لا بد من الاشارة الى المعارضة الواسعة النطاق التي واجهتها الصهيونية في صفوف اليهود انفسهم في كل مكان . وقد فصّل البروفسور هانز كوهن ، في مقـــاله عن الصهيونية في « دائرة المعارف البريطانية » ، الاتجاهات المعارضة للصهيونية في صفوف اليهــود وقسمها الى فئات ثلاث :

١ — فئة الاندماجيين : وهي فئة ترى ان اليهودية ديانة كغيرها من الديانات وبالتالي لا علاقة لها بقومية معينة او حركة

---

(١٦) المصدر نفسه .

عنصرية ، وان ولاء اليهودي من الناحية السياسية يجب ان يكون للدولة التي ينتمي اليها وللمجتمع الذي يعيش فيه .

٢ — فئة المطالبين بالقومية اليهودية في المنفى : وهي الفئة التي تنادي بضرورة تكتل اليهود حيثما وجدوا على اساس انهم اقلية قومية في المجتمع الذي يعيشون فيه .

٣ — اما الفئة الثالثة فهي الفئة التي تقول بان العودة الى فلسطين هي عودة دينية ولا تتم الا بمشيئة ربانية بموجب القوانين والتعاليم الدينية .

ومهما يكن من امر ضعف انتشار الفكرة الصهيـــونية في صفوف اليهود قبل عام ١٨٩٧ ، فان اعلان الفكرة القومية اليهودية بشكل محدد واضح المعالم في مؤتمر بال واعتماد العمل التنظيمي الشامل والعمل المترابط الجاد من اجل تنفيذ المخطط الذي وضعه المؤتمر الصهيوني الاول مكن الصهاينة من احراز صفة الاقلية الناشطة النافذة في فترة وجيزة جداً .

ب — المرحلة التنظيمية الشاملة

بعد ايام من اختتام المؤتمر الصهيوني الاول في بال كتب هيرتزل في مذكراته يقول :

« لو اردت ان ألخص اعمال مؤتمر بال في كلمة واحدة

— وهذا ما لن اقدم على الجهر به — لقلت : في بال اوجدت... الدولة اليهودية . ولو جهرت بذلك اليوم لقابلني العالم بالسخرية. في غضون خمس سنوات ، ربما ، وفي غضون خمسين سنة بالتأكيد سيراها الجميع . ان الدولة قد تجسدت في ارادة الشعب في اقامتها » (١٧) .

فما الذي حدث في بال وما هي المبادىء والقرارات التي خرج بها المؤتمر ؟

١ — الهدف

لقد وحد المؤتمر الصهيوني الاول الافكار والحلول الصهيونية ليجعل منها عقيدة صهيونية لهـا اهدافها الثابتة وخطوطها الستراتيجية والتكتيكية وادواتها ووسائل تحقيقها البشرية والمادية :

« ان غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي بفلسطين يضمنه القانون العام . ان المؤتمر يرى في الوسائل التالية الطريق الى تحقيق هذه الغاية :

(١٧) « مذكرات تيودور هيرتزل الكاملة » تحرير رافايل باتاي ، ترجمه (الى الانكليزية) هاري زوهن، نيويورك، هيرتزل بريس وتوماس يوسيلوف، ١٩٦٠ ، الجزء الثاني ، ص ٥٨١ .

٢ — الوسائل

« ١ — العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق اسس مناسبة .

« ٢ — تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد .

« ٣ — تقوية وتغذية الشعور والوعي القومي اليهودي .

« ٤ — اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية » .

وبذلك اعلن المؤتمر الصهيوني الاول ان اليهود يشكلون وحدة دينية — عنصرية وانهم شعب بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وبالتالي ان لهم الحق في الحياة كأمة على رقعة من الارض خاصة بهم، وان هذه الارض هي ارض الميعاد والاجداد: فلسطين. وهكذا انطلقت الصهيونية **من اعتبار الوطن القومي اليهودي وطناً لجميع اليهود** بحكم انتماء كل يهودي الى « الامة اليهودية » ذات الحق التاريخي المزعوم في « استرداد » فلسطين بعد الفي سنة من التشرد !

وبالاضافة الى تحديد الاهداف حدد المؤتمر الوسائل : **التنظيم** (خلق الوعي القومي اليهودي وتعبئة الجهود اليهودية

العالمية) **والاستعمار** (الهجرة وبناء المستعمرات) **والدبلوماسية** (المفاوضات) . وما هي الا فترة وجيزة حتى اصبح للصهيونية منظماتها ومؤسساتها الفعالة الناشطة : المؤتمر الصهيوني ، واللجان التنفيذية والاستشارية ، « والمصرف اليهودي للمستعمرات » (١٨٩٨) « ولجنة الاستعمار » (١٨٩٨) « والصندوق القومي اليهودي » (١٩٠١) . وكان الهدف من انشاء تلك المؤسسات هو تمويل عمليـــة استعمار فلسطين وتنظيمها وربطها بالجهود الصهيونية الشاملة لتنفيذ اهداف مؤتمر بال .

الفصل الثاني

تطويق فلسطين : المشاريع الصهيونية لإستعمار قبرص والعريش وسيناء وشرق افريقيا

« يجب التمسك بفكرة فلسطين الكبرى على ان تكون البداية متركزة على الاطراف – هذه هي الصهيونية الواقعية الممكنة »

« دافيد تريتش ١٨٩٩ »

رأينا في الفصل السابق كيف قرر المؤتمر الصهيوني الاول التخلي عن الاستعمار غير المنظم ، الذي لا يرتبط باهـــداف ومخططات قومية ، والذي كان يلاقي الدعم والتأييد من شخصيات وجمعيات خيرية يهودية ، في فلسطين والاميركيتين . كما رأينا كيف قرر هذا المؤتمر الاستعاضة عن ذلك ببرنامج قومي له غاياته السياسية الواضحة : اقامة وطن خاص باليهود ودولة يهودية مستقلة في فلسطين .

وكان من الطبيعي ان تتجه الجهود الدبلوماسية والسياسية بادىء ذي بدء نحو الحكومة التركية ، صاحبة القول والفصل والسلطان السياسي في فلسطين آنذاك ، لحملها على منح المنظمة الصهيونية ميثاقاً يتيح لها اقامة مستعمرات تتمتع بحكم ذاتي وبطابع يهودي قومي في فلسطين. كذلك جرت اتصالات اخرى بالامبراطور الالماني لاقناعه بالموافقة على انشاء شركة لشراء وتطوير الاراضي في فلسطين يديرها الصهاينة تحت حماية المانية .

بيد ان جهود الحركة الصهيونية للحصول على اعتراف قانوني بمخططها ومطامعها الاستعمارية في فلسطين لم تتمخض عن اي نجاح في الفترة التي تولى فيها تيودور هيرتزل زعامة الحركة الصهيونية ١٨٩٧ — ١٩٠٤ ، الامر الذي دفعه في اواخر هذه الفترة الى تغيير استراتيجيته واسلوب وصوله الى هدفه واضطره الى اعتماد الطرق غير المباشرة كوسيلة للوصول الى فلسطين . ففي ١٢ تموز من عام ١٩٠٢ وجه هيرتزل الى اللورد روتشيلد ، المتمول اليهودي الكبير ، رسالة (١) بسط فيها خطة صهيونية لاسكان الفقراء والمضطهدين من اليهود في العريش وفي شبه جزيرة سيناء ، اي فيما دعاه « فلسطين المصرية » ، وفي قبرص . وقد شدد الزعيم الصهيوني على القول بان الهدف السياسي هو الهدف الاول بالنسبة له : اذ ان ايجاد مستعمرات وجاليات يهودية

(١) مذكرات هيرتزل ، الجزء الرابع ، ص ١٣٠٢ .

كبيرة في شرقي البحر الابيض المتوسط من شأنه ان يدعم الموقف الصهيوني في فلسطين . وبالاضافة الى هذه عرض هيرتزل خطة سرية أخرى مستقلة عن الاولى غير متناقضة معها ، اما هذه الخطة فهي انتشار مستعمرات يهودية في العراق . وقد انطلق هيرتزل في تفكيره هذا من وعد منحه اياه السلطان العثماني اثناء مقابلة جرت بينهما في القسطنطينية في شباط من العام نفسه . ويذهب هيرتزل الى القول بانه رفض هذا العرض آنذاك لانه لم يشمل فلسطين ، ولكنه — اي هيرتزل — قادر على تجديد هذا العرض بفضل علاقاته الحسنة مع السلطات العثمانية . وفي نهاية الرسالة يذكر هيرتزل انه يفضل الخطة الاولى ، ولكنه ربما يلجأ الى الخطة الثانية اذا ما رفضت الحكومة البريطانية السماح بايجاد مستعمرات يهودية في ممتلكاتها لسبب من الاسباب .

والجدير بالذكر في هذا الصدد هو ان الاشارة السالفة الى خطة استعمار العراق لم تكن اشارة عابرة او عرضية. فقد كتب هيرتزل في ٤ حزيران من عام ١٩٠٣ الى عزت باشا رئيس الوزراء العثماني الجديد يذكره بمقترحات بعث بها بتاريخ ١٦ شباط ١٩٠٣ حول قروض يهودية للحكومة التركية كما يذكره بالوعد الذي قطع للمنظمة الصهيونية بالسماح لها بايجاد مستعمرات يهودية في العراق وفي سنجق عكا عن طريق فتح الباب امام الهجرة اليهودية (٢) .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٠٣ .

وقبل ان ندخل في بحث المحاولات التي بذلتها الصهيونية لاستعمار قبرص، والعريش وسيناء ، ومشروع انشاء مستعمرات صهيونية في افريقيا الشرقية ، لا بد من القول مجدداً بان فلسطين كانت الهدف الاول والاخير عند الحركة الصهيونية وان الدخول في مفاوضات مع بريطانيا حول انشاء مستعمرات يهودية في اراضي الامبراطورية البريطانية لم يكن في حال من الاحوال يعني تحول الحركة الصهيونية عن هدف استعمار فلسطين ، بل ان العكس هو الصحيح . وسوف نرى بالتفصيل العلاقة الوثيقة بين هذه المشاريع الاستعمارية والمخطط الصهيوني في فلسطين والبلاد المجاورة لها واستعمارها .

أ – خطة استعمار قبرص

« ان قبرص ليست سوى خطوة الى فلسطين »

هيرتزل

« ان قبرص هي جزء من فلسطين الكبرى »

دافيد تريتش

والواقع هو ان دافيد تريتش ، وهو صهيوني متحمس واحد كبار اعضاء المنظمة الصهيونية العالمية – كان سباقاً الى التفكير في مشروع « فلسطين الكبرى » التي كانت تضم في رأيه [٣]

(٣) اوسكار رابينوفيتش «A Jewish Cyprus Project» (مشروع تهويد قبرص) ، نيويورك ، تيودور هيرتزل فاونديشن انكوربوريشن ، ١٩٦٢ ، ص ٥ .

فلسطين المعروفة وقبرص وسيناء . وقد دعا تريتش الى انشاء مستعمرات يهودية في قبرص وسيناء على اساس سياسي بموجب مفاوضات رسمية مع الحكومات المعنية . ويرجح ان يكون تريتش قد تأثر في موضوع انتقاء قبرص بالذات بمقال طويل نشرته صحيفة « الجويش كرونيكل » في ٩ آب عام ١٨٧٨ دار حول العلاقة التاريخية بين قبرص واليهود ، وحث على وجوب عودة اليهود الى استعمار قبرص .

وهكذا بقيت الفكرة تختمر في رأس تريتش حتى اذا ما اطلع على كتاب هيرتزل « الدولة اليهودية » راودته خطة دمج مشروعه بمشروع هيرتزل . ولكن فكرة استعمار قبرص لم تكن تراود تريتش وحده اذ « بينما كان تريتش يفكر في قبرص ، كانت الافكار نفسها تراود هيرتزل على الرغم من آلاف الاميال التي تفصل بينهما » [٤] .

وفي عام ١٨٩٦ زار هيرتزل القسطنطينية وحاول مقابلة السلطان دون جدوى، فنصحه عزت بك، احد اعوان السلطان المقربين ، بالحصول على قطعة من الارض واقامة مستعمرات يهودية فيها ثم تقديمها لتركيا مع مبالغ اضافية مقابل فلسطين . وقد كتب هيرتزل في مذكراته اذ ذاك يقول : « كانت قبرص

(٤) المصدر نفسه .

هي اول ما فكرت به »[٥] .

وبعد سنتين من هذه الحادثة سجل هيرتزل في مذكراته الخواطر التالية :

« انني افكر في اعطاء الحركة اهداف اقليمية قريبة مع الاحتفاظ بصهيون (فلسطين) كهدف نهائي . ان الجماهير الفقيرة بحاجة الى مساعدات عاجلة ولكن تركيا ليست يائسة الى درجة التجاوب مع رغباتنا .

« وهكذا فانه يجب علينا رسم هدف يسهل تحقيقه بسرعة تحت علم صهيون مع الاحتفاظ بكافة مطالبنا التاريخية ، وربما تمكنا من مطالبة انكلترا بمنحنا قبرص »[٦] .

وعلى الرغم من الصفة العابرة لهذا الاهتمام بمسألة قبرص في تلك الفترة ، فان المراسلات التي جرت بين هيرتزل ودافيد تريتش تثبت عدم انقطاع هيرتزل عن التفكير بالاستيلاء على هذه الجزيرة القريبة من فلسطين[٧] . والذي يبدو هو ان تريتش كان يصر على اثارة مسألة قبرص امام الرأي العام الصهيوني

(٥) مذكرات هيرتزل ، الجزء الاول ، ص ٣٨٣ .

(٦) مذكرات هيرتزل ، الجزء الثاني ، ص ٦٤٤ .

(٧) رابينوفيتس ، ص ١٢ .

فشن حملة صحفية قبل موعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث بشهرين ونصف . وقد كتب آنذاك مقالة في صحيفة « دي فيلت » الصهيونية الرسمية قال فيها ان ابواب فلسطين مغلقة ولكن ابواب قبرص مفتوحة وان على الحركة الصهيونية ان تنتهز هذه الفرصة ، لا سيما وان ظروف بعض العمال اليهود المطرودين من اعمالهم في روسيا تدعو الى حل سريع[٨] .

وقد وجد مقال تريتش هذا صدى في بعض الاوساط الصهيونية. فكتب بن دافيد في الصحيفة ذاتها مقالاً اشار فيه الى ان استعمار قبرص يعجل في احراز النصر في فلسطين وان اليهود الذين سوف ينقلون الى قبرص سيصبحون من الرعايا البريطانيين، وبالتالي سوف يتمكنون من دخول فلسطين[٩] . كذلك شارك في الدعاية لفكرة استعمار قبرص ارون ماركوس اول شخصية يهودية دينية انضمت الى حركة هيرتزل الصهيونية . وقد احاط رجل الدين هذا هيرتزل علماً بأنه ينوي اثارة قضية قبرص في المؤتمر اليهودي الثالث ، وانه استناداً الى التلمود قد وجد ان قبرص جزء من فلسطين[١٠] . وقد اجاب هيرتزل على ذلك قائلاً : « اذا كنت تقول هذا كرجل دين فانني لا اعترض ، فانا

(٨) المصدر نفسه .

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

(١٠) صحيفة « دي فيلت » ، عدد ٤٣ ، ٢٧ تشرين الاول ١٨٩٩ .

ايضاً ارى في ذلك كسباً هاماً »[١١] .

وفي المؤتمر الصهيوني الثالث تكلم تريتش عند مناقشة القرار الخـــاص بالمصرف اليهودي للمستعمرات (حيث وردت فقرة عن نشاط المصرف في فلسطين وسورية) ، فاشار الى ان شمول سورية يشكل تعديلاً للبرنامج الصهيوني الذي اقر في بال في المؤتمر الصهيوني الاول، ثم اضاف «ان عبارة سورية وفلسطين تدل على اننا ادركنا فطرياً حاجتنا الى فلسطين اكبر . لكننا سعينا الى التوسع في الاتجاه الخاطىء . ان الارض تفرق اما البحار فتوحد . انكم تعلمون انني افكر في قبرص »[١٢] .

ولكن كثرة اعضاء المؤتمر لم توافق تريتش رأيه آنذاك بسبب الرغبة في التركيز على فلسطين لان دعوته كان مؤداها الابتداء باستعمار قبرص وعدم المضي الى استعمار فلسطين في القريب العاجل . وقد اضطر تريتش الى المضي في المشروع بمبادرته الشخصية ، فكان ان الف لجنة في برلين لاستعمار قبرص ضمت شخصيات صهيونية هامة من بينها البروفسور واربورغ الذي اصبح بعد ١٢ سنة من ذلك التاريخ رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية .

(١١) رابينوفيتس ، ص ١٣ — ١٤ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

وبعد تأليف اللجنة قام تريتش بجولة في اوروبا الشرقية وكتب الى هيرتزل عن حماس اليهود لمشروع قبرص وشدد على ضرورة تبني فكرة «فلسطين الكبرى» وضرورة ادخال تعديل على البرنامج الصهيوني بحيث يصبح هدف الحركة الصهيونية « استعمار فلسطين والبلاد المجاورة لا سيما وان زعماء الصهيونية يريدون وطناً قومياً لمجموع الشعب اليهودي »[١٣] .

وعلى الاثر (٣٠ تشرين الاول ١٨٩٩) كتب هيرتزل في مذكراته يقول : « ان تريتش آخذ في نشر الدعاية الناجحة في رومانيا لمشروع قبرص الذي اعتبره مشروعاً معقولاً ، ولكني لا استطيع الجهر بذلك مسايرة لجمعية حب صهيون »[١٤] التي تتمسك بفلسطين ولا ترض عنها بأي بديل. كذلك اشار هيرتزل في مذكراته الى رسالة بعث بها الى نوري بك الامين العام الاول للشؤون الخارجية التركية يخبره فيها عن اتجاه الحركة الصهيونية نحو استعمار قبرص عن طريق الاتفاق مع بريطانيا لان تركيا رفضت مطالب الحركة الصهيونية في فلسطين .

يسجل اوسكار رابينوفيتس في كتاب له عن مشروع استعمار اليهود لقبرص نص الرسالة التي بعث بها تريتش الى هيرتزل اثر زيارة الاول لتركيا والتي اكد فيها قناعته التامة بمشروع

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(١٤) مذكرات هيرتزل ، الجزء الثالث ، ص ٨٨٢ .

قبرص وتمسكه الشديد بفكرته الرئيسية :

« فلسطين الكبرى » ، على ان تكون البداية متركزة على الاطراف — هذه هي الصهيونية الواقعية الممكنه ، وكل ما عدا ذلك ان هو الا شكل جديد من اشكال الدعاء » (١٥) .

وقد تابع تريتش جولته فزار قبرص وبعث برسالة الى المندوب السامي البريطاني هناك لخص فيها آراءه حول مستقبل قبرص واهمية السماح لليهود بالهجرة اليها والتوسع التدريجي في تلك الهجرة وضمان التسهيلات الحكومية لذلك. كما دخل تريتش في مراسلات ومحادثات مع السلطات الحكومية البريطانية تهدف الى استعمار قبرص والتمهيد للوصول الى فلسطين والاستفادة من العامل الجغرافي . بيد ان تريتش كان مصمماً على القيام بتجارب استعمارية فورية ، حتى قبل الحصول على ميثاق سياسي يضمن للمستعمرات الصهيونية حكماً ذاتياً ، فاستحصل على موافقة من السلطات الحكومية لاستقدام ١٥ شخصاً من العمال اليهود الروس ولا يهمنا في هذا المجال الدخول في تفاصيل هذه المغامرة التي تعرضت للنقد في بعض الصحف الصهيونية ، وما يهمنا ان نعرفه هو موقف هيرتزل من تلك المغامرة ومصيرها (١٦) .

---

(١٥) رابينوفيتس ، ص ١٩ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٥٠ — ٥١ .

اما موقف هيرتزل فقد عبّر عنه هذا من خلال مقالة نشرت في صحيفة « الجويش كرونيكل » بتاريخ ٤ آذار عام ١٩٠٠ كتبها سيجموند ويرز قال فيها ان عرض مشروع استعمار قبرص على المؤتمر الصهيوني التالي رهن بتبني الجمعيات الاستعمارية اليهودية للمشروع وتمويلها ودعمها الكامل له . واما نتيجة المغامرة فكانت الخيبة والفشل ورجوع العمال من حيث اتوا .

ولكن هيرتزل لم يتخل عن فكرة قبرص نهائياً بعد فشل مغامرة تريتش . ففي ٤ كانون الثاني عام ١٩٠١ سجل هيرتزل في مذكراته انه تلقى دعوة من رئيس وزراء النمسا بعد ان قرأ نبأ وجود محادثات حول اتفاق الماني — بريطاني تحصل المانيا بموجبه على قبرص لقاء التخلي لبريطانيا عن المناطق الالمانية في شرق افريقيا . واضاف هيرتزل يقول انه فكر في الكتابة الى ايلينبورغ رئيس ديوان القيصر ويلهلم الثاني ليحثه على ضرورة تبني المانيا — في حال حصولها على قبرص — لمشروع انشاء مستعمرات يهودية في هذه الجزيرة القريبة من فلسطين .

ويستطرد هيرتزل ، كمن يناجي نفسه ويمنيها بنصر قريب ، قائلا :

« سوف نحتشد في قبرص لننتقل في يوم ما الى ارض اسرائيل ونأخذها عنوة كما اخذت منا في الماضي البعيد ... سوف اعلن للمؤتمر ان قبرص ليست سوى خطوة الى

فلسطين وان حصولنا عليها سوف يقنع تركيا بجدية موقفنا » .

وفي المؤتمر الصهيوني الخامس حاول تريتش ادخال تعديل يمس حدود فلسطين كما عرّفها لمؤتمر الصهيوني الاول في بال ، واقترح البدء فوراً باستعمار « فلسطين المصرية » (اي العريش وسيناء) . « ومع ان تريتش لم يحرز نتائج ملموسة فقد كان بامكانه توديع المؤتمر الخامس بشعور من الرضى نتيجة انتشار افكاره والاعتراف العلني بها »(١٧) .

وفي ٥ ايلول ١٩٠٢ كتب تريتش في « الجويش كرونيكل» يقول : ان العديد من زعماء الصهيونية يعتقدون ان استعمار قبرص سوف يكون خطوة الى فلسطين او جزءاً من العمل فيها.

وفي عامي ١٩٠٢ — ١٩٠٣ قام هيرتزل بسلسلة مبادرات دبلوماسية وسياسية للحصول على اذن السلطات البريطانية باقامة مستعمرات يهودية في قبرص والعريش. وفي ٤ تموز ١٩٠٢ سجل هيرتزل في مذكراته انه عرض على اللورد روتشيلد (ممول المستعمرات اليهودية) خطط المنظمة الصهيونية لاستعمار سيناء و « فلسطين المصرية » وقبرص ، وان روتشيلد أقر هذه المخططات(١٨) .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(١٨) مذكرات هيرتزل ، الجزء الرابع ، ص ١٢٩٤ .

وفي ٢٢ تشرين الاول زار هيرتزل وزير المستعمرات البريطاني المستر تشمبرلين الذي عرف بمؤازرته للصهيونية واستخدامه نفوذه القوي في حمل الحكومة البريطانية على القبول بالمطالب الصهيونية . وفي اثناء تلك المقابلة دار البحث عن المخططات الصهيونية فيما يتعلق بقبرص والعريش وشبه جزيرة سيناء . وقد اشار تشمبرلين الى ان السكان المحليين في قبرص سوف يعارضون المشروع الصهيوني . وقد سرد هيرتزل ما حدث في مذكراته :

« وهنا كشفت عن خطتي الرامية الى خلق تيار اجتذابي نحونا في قبرص ، اذ يجب علينا ان نتلقى دعوة للذهاب هناك . وسوف يتم ذلك بواسطة نصف دزينة من المبعوثين بعد ان نكون قد اسسنا الشركة اليهودية الشرقية برأسمال قدره ٥ ملايين جنيه لاقامة المستعمرات في سيناء والعريش. وعندئذ سوف يطالب القبارصة بان ينزل هذا المطر الذهبي على جزيرتهم ايضاً . اما المسلمون فسوف يرحلون ، واما اليونان فسوف يبيعون ارضهم بسعر جيد لينتقلوا الى اثينا او جزيرة كريت »(١٩) .

وهكذا ربط هيرتزل مصير خطة استعمار قبرص بنجاح خطة استعمار سيناء والعريش . وقد وافق تشمبرلين (كما يقول

(١٩) المصدر نفسه ، ص ١٣٦٠ — ١٣٦٢ .

هيرتزل) على الخطة الصهيونية بشأن قبرص [٢٠] . اما عن مشروع سيناء والعريش فقد سجل هيرتزل في مذكراته انه شرح للوزير البريطاني علاقة مشروع العريش بمشروع حيفا والاراضي المجاورة لها : « انني آمل ان اقنع الاتراك بضرورة الاتفاق معي بسرعة بعد ان اكون قد اتخذت مواقعي على ضفاف نهر مصر ، كما آمل ان احصل على حيفا بسعر البخس » . وهنا قاطعه تشمبرلين قائلاً : « سوف نواجه في مصر المشكلة ذاتها (اشارة الى الحديث عن معارضة القبارصة المتوقعة للمخططات الصهيونية في قبرص) مع السكان الحاليين » .

واجاب هيرتزل : « كلا لن نذهب الى مصر لاننا كنا فيها من قبل » . وقد لاحظ هيرتزل ان متحدثه لم يفهمه تماماً الا بعد هذه الجملة ، حيث اتضحت رغبة هيرتزل في الحصول على مكان لحشد اليهود بالقرب من فلسطين [٢١] .

وفي نهاية المقابلة وجه هيرتزل سؤالاً مباشراً الى الوزير البريطاني : « هل توافق على تأسيس مستعمرة يهودية في شبه جزيرة سيناء ؟ » . ويروي هيرتزل ان تشمبرلين اجاب قائلاً : « نعم ، اذا وافق اللورد كرومر على ذلك » [٢٢] . هذا على

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٦٠ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٣٦٢ .

(٢٢) المصدر نفسه .

الرغم من ان امر سيناء والعريش كان من اختصاص وزارة الخارجية كما اعلن تشمبرلين في بداية المقابلة .

وبعد تلك الزيارة كتب هيرتزل في مذكراته يقول : ان بريطانيا وافقت على ايجاد مستعمرة يهودية تتمتع بالحكم الذاتي في الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الابيض المتوسط [٢٣] .

ب – مشروع استعمار سيناء والعريش

« ان ارض سيناء والعريش هي ارض اليهود العائدين الى وطنهم » .

هيرتزل

في اليوم التالي للمقابلة التي تمت بين هيرتزل وتشمبرلين وبناء على اقتراح من الوزير ، استقبل اللورد لانسدون وزير الخارجية البريطاني الزعيم الصهيوني وابدى له تأييده لفكرة اقامة جاليات ومستعمرات يهودية في وادي العريش وشبه جزيرة سيناء واستعداده لكتابة رسالة الى اللورد كرومر الحاكم البريطاني في مصر بخصوص زيارة المستر غرينبرغ (مبعوث هيرتزل) وتوصيته بتسهيل مهمته الاستطلاعية .

وقد قام غرينبرغ فعلاً بزيارة مصر بناء على رغبة هيرتزل

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٦٤ .

مزوداً برسالة اللورد لانسدون وتأييد وزير المستعمرات القوي، المستر تشمبرلين . وفي ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٠٢ سجل هيرتزل في مذكراته الملاحظة التالية :

« عاد غرينبرغ من القاهرة حيث احرز نجاحاً تاماً . لقد كسب اللورد كرومر الى جانب قضيتنا ، كما كسب بطرس غالي باشا رئيس وزراء مصر . واهم من ذلك انه استمال بعض كبار الموظفين البريطانيين هناك كالمستر بويل والكابتن هنتر »[٢٤] .

وفي ٢٢ كانون الاول ١٩٠٢ بعث اللورد لانسدون برسالة الى هيرتزل كشف فيها النقاب عن رأي اللورد كرومر بمشروع شبه جزيرة سيناء القائل بامكان تنفيذ المشروع في حالة تأكد بعثة دراسة المشروع هذه من ذلك استناداً الى احوال المنطقة . وقد سارع هيرتزل بالطبع الى تسمية اعضاء بعثة الدراسة وجلهم من الخبراء المؤيدين للحركة الصهيونية . وفي ٣٠ كانون الاول ١٩٠٢ سجل هيرتزل الخواطر التي راودته عن كيفية ري الصحراء بواسطة مياه النيل[٢٥] . كذلك حاول في الوقت نفسه الحصول على المال اللازم لتمويل المشروع من اللورد روتشيلد والجمعيات اليهودية الممولة للمستعمرات اليهودية .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٧٢ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٨٤ .

ومن الخطأ ان نتصور ان هيرتزل قد اهمل محاولاته العنيدة المستمرة للحصول على موطىء قدم في فلسطين من السلطات العثمانية ، في خضم محاولاته للحصول على الاراضي المجاورة لفلسطين من الامبراطورية البريطانية . ففي ١٥ شباط عام ١٩٠٣ حاول الحصول على سنجق عكا لقاء دفعة سنوية من المال (مائة الف جنيه تركي) وبواسطة بعض الرشوات لكبار المسؤولين الاتراك[٢٦] .

ومع ان اللورد كرومر والمسؤولين البريطانيين كانوا يعطفون على المشاريع الصهيونية ، فقد واجه هيرتزل بعض المصاعب نتيجة رفض الخديوي منح الصهاينة « الميثاق » الاستعماري المطلوب ، ونتيجة تحفظ كرومر في مسألة طلب جر مياه النيل الى صحراء سيناء بانتظار تقارير الخبراء . وكان كرومر قد ابدى هذا التحفظ اثناء المقابلة التي تمت بين الاثنين في القاهرة في ٢٥ آذار ١٩٠٣ . وبعد ايام من تلك المقابلة لكرومر قابل هيرتزل المستشار القانوني للحكومة وطلب منه اجراء الترتيبات اللازمة للتوقيع على عقد لاستعمار سيناء والعريش مدته ٩٩ سنة ومنح الحركة الصهيونية الضمانات والحقوق الاستعمارية على اساس ان هيرتزل لا يريد ان يكون « تحت رحمة الشرقيين » في حال انسحاب الانكليز من المنطقة[٢٧] .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٦٤ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٦٣ — ١٤٦٤ .

ولكن هيرتزل اضطر الى مغادرة مصر قبل ان يعد الخبراء تقريرهم وقبـــل ان يحصل على مراده . وفي السادس من ايار ١٩٠٣ تلقى هيرتزل برقية من مندوبه الشخصي غولد شميث يخبره فيها عن معارضة خبراء المياه لمشروع ري الصحراء الذي تقدم به هيرتزل ، كما اخبره باصرار اللورد كرومر على التخلي عن المشروع . وفي ١١ ايار سجل هيرتزل في مذكراته تحت عنوان « نهاية مشروع » الاسطر التالية :

« ابلغ اللورد كرومر غولد شميث معارضة الحكومة المصرية للمشروع .

« انني اعتقد انه ما من احـــد ولا حتى تشمبرلين يستطيع ان يفعل اي شيء الآن .

« وخلاصة الامر لقد انتهى كل شيء » (٢٨) .

وفي ٣٠ ايار كتب هيرتزل الى اللورد روتشيلد رسالة أعلن فيها انهيار خطة استعمار سيناء والعريش بسبب عجز مصر عن الاستغناء عن كمية كبيرة من المياه الضرورية للمشروع . ومضى هيرتزل يقول :

« ومع ذلك فاني غير يائس . لقد وضعت خطة جديدة.

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٨٦ .

وهناك رجل قوي للغاية ابـــدى استعداده لدعم خطتي هذه » (٢٩) .

وقبل ان ننتقل الى الحديث عن خطة هيرتزل الجديدة لا بد لنا من الاشارة الى الانتقادات التي كانت توجه داخل الحركة الصهيونية للاسلوب الذي اتبعـــه هيرتزل في معالجة مشروع استعمار سيناء والعريش . من ذلك ما جاء على لسان حايم وايزمن الزعيم الصهيوني المعروف :

«ان التحليل الدقيق للتقرير (الذي قدمته بعثة الدراسة الى المؤتمر الصهيوني السادس) يدفع المرء الى الشعور بان تصرفات البعثة ومواقفها كانت صادرة عن اصرار قادة الصهيونية آنذاك على البدء بمشاريع الاستعمار على نطاق واسع جداً . لقد رفضت البعثة الرقعة الساحلية الضيقة الممتدة على ساحل فلسطين الجنوبي لان البداية كانت متواضعة وبالتالي كان لا بد من ان تشمل الدراسة صحراء سيناء وهذه لم تكن صالحة للاستعمار بدون ماء . لقد انهار المشروع باكمله دون تفحص الرقعة الصغيرة الصالحة للاستعمار . ولو تجمعنا على ساحل فلسطين الغربي لاختلف مصير فلسطين

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ١٥٠١ .

الحالي اختلافاً كبيراً »[٣٠] .

كذلك ابدى دافيد تريتش ملاحظات مماثلة حول الموضوع نفسه واضاف :

« ان الامر ببساطة هو ان الانسان لا يتخلى عن بلاده ، اي عن القسم الجنوبي الشرقي من فلسطين ، لوجود نقص في المياه »[٣١] .

ج -- مشروع استعمار شرق افريقيا

« ان اوغنده هي معسكر ليلي لليهود ...
محطة في منتصف الطريق الى فلسطين » .

ماكس نوردو

في ٢٤ نيسان ١٩٠٣ سجل هيرتزل ملاحظات حول المحادثة الهامة التي دارت بينه وبين تشمبرلين بعد جولة قام بها الوزير البريطاني في المستعمرات الافريقية . وقد جاء في هذه الملاحظات ان تشمبرلين ذكر انه تكلم مع اللورد كرومر عن مشروع هيرتزل بشأن العريش وسيناء ولكن التقرير الذي قدمته بعثة

(٣٠) حاييم وايزمن «Trial and Error» (التجربة والخطأ) ، لندن ، هاميش هاميلتون ، ١٩٥٠ ، ص ١٢١ .

(٣١) رابينوفيتس ، ص ٧٥ .

الدراسة لم يكن ايجابياً . ويضيف تشمبرلين -- على ذمة مذكرات هيرتزل -- قائلاً :

« لقد وجدت اثناء رحلاتي قطعة مناسبة لك هي اوغنده . انها حارة على الساحل ولكن المناخ في الداخل ممتاز حتى بالنسبة للاوروبيين ... ولكن هيرتزل يريد ان يذهب الى فلسطين او الى ارض مجاورة لها بالطبع » .

وكان تعقيب هيرتزل على ذلك :

«اجل ان قاعدتنا يجب ان تكون في فلسطين او بالقرب منها . وبعد ذلك سيكون بامكاننا ان نقيم جاليات في اوغنده وذلك لان جماهيرنا مستعدة للهجرة . ولكن يتوجب علينا ان نبني على اسس قومية . وقد كان الجاذب السياسي هو الذي شدنا الى مشروع العريش »[٣٢] .

بيد ان انهيار مشروع العريش نهائياً بعد اسبوعين من تاريخ هذه المقابلة دفع هيرتزل الى اعادة النظر في موقفه من مشروع اوغنده ، لا سيما وانه كان عليه ان يواجه المؤتمر الصهيوني في الصيف بمكاسب مادية تقرب يوم استعمار فلسطين . هذا فضلاً عن ان هيرتزل كان يريد تحقيق السيادة فوق قطعة من الارض ليقنع السلطان التركي بجدية الامر وبالمستوى الدولي الذي وصلت

(٣٢) مذكرات هيرتزل ، الجزء الرابع ، ص ١٤٧٣ .

اليه الصهيونية . يضاف الى هذا كله شعور هيرتزل بضرورة إتيان عمل معين يرفعه الى مستوى الآمال التي علقها عليه اليهود الروس وتلبية مطالبهم الملحة بايجاد مستعمرات يهاجرون اليها فوراً ، بضغط من الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له مجدداً في تلك الآونة .

وفي ١٣ ايار ، بعد انهيار مشروع سيناء والعريش كلياً ، دوّن هيرتزل في مذكراته الخواطر التالية :

« في ساعات الامس واليوم المثمرة رسمت خطة جديدة اصبحت ضرورية بعد انهيار المشروع (يقصد سيناء — العريش) .

« انطلقت من اقتراح اوغنده الذي تقدم به تشمبرلين ووصلت الى موزامبيق . سوف احاول الحصول على هذه الارض الخاملة من الحكومة البرتغالية ، التي هي في حاجة الى المال . على اني اريد الحصول على موزامبيق بقصد المقايضة فقط . وسوف احصل من الحكومة البريطانية ، لقاء تنازلي لها عن موزامبيق ، على شبه جزيرة سيناء برمتها مع مياه النيل صيفاً وشتاء ، وربما حصلت على قبرص ايضاً — كل ذلك مقابل لا شيء ! » [٣٣] .

---

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨٧ .

وعلى الفور باشر هيرتزل باجراء الاتصالات اللازمة للحصول على العرض البريطاني رسمياً . فاوعز الى غرينبرغ بمقابلة تشمبرلين وكبار موظفي وزارة المستعمرات ، كما بادر الى الاتصال بزعماء الصهيونيين لاقناعهم باهمية الحصول على هذا العرض . وفي ٢٠ ايار ١٩٠٣ كتب غرينبرغ الى هيرتزل يقول : « يبدو لي ان القول بان بريطانيا عرضت علينا ملاذاً ليس بالامر القليل من الناحية السياسية » [٣٤] . كذلك كتب هيرتزل الى ماكس نوردو يقول : « اذا قابلنا عرض تشمبرلين بالامتنان ، في الوقت الذي نتمسك فيه بشروطنا ، فسوف نعزز عواطفه نحونا ، وندفعه الى الشعور بضرورة صنع شيء ما في حال خروج بعثة الدراسة (التي هي تحت سيطرتنا) بتقرير سلبي ، فنكون قد حققنا في علاقاتنا مع هذه الامة العملاقة الاعتراف بنا كقوة تبني الدول — وهذا يعني في العرف الدولي قوة قادرة على شن الحروب » [٣٥] .

وفي ٢٣ ايار تلقى هيرتزل من غرينبرغ تقريراً طويلاً مرضياً عن محادثاته مع تشمبرلين الذي عرض مساحة تكفي لاسكان مليون يهودي وتتمتع بحكم ذاتي ، لا في اوغنده بل بجوارها [٣٦] .

---

(٣٤) اوسكار رابينوفيتس «Fifty Years of Zionism» (خمسون سنة من الصهيونية) ، لندن ، روبرت انسكومب وشركاه ، ١٩٥٢ ، ص ٥٢ .

(٣٥) المصدر نفسه .

(٣٦) مذكرات هيرتزل ، الجزء الرابع ، ص ١٤٩٨ .

لم يكن هيرتزل ليكتفي بهذا العرض ، بل تابع جهوده ليحصل بطريق غير مباشر على ما فشل في الحصول عليه ، اي قبرص والعريش وسيناء . فقام بمقابلة سفير البرتغال في ٢٦ ايار ١٩٠٣ واجرى اتصالات اخرى بفينا طلب فيها ميثاقاً ورقعة ارض مناسبة . كذلك فكر جدياً بالذهاب الى البرتغال بقصد الحصول على موزامبيق . الا انه تخلى عن هذه الفكرة في ١٤ حزيران من العام نفسه خشية ان تتضارب فكرة موزامبيق مع خطة نيروبي [٣٧] .

ولم تكن فكرة موزامبيق فريدة من نوعها بل يطالعنا هيرتزل في مذكراته بانه فكر في تموز ١٩٠٣ باستعمار اجزاء من دولة الكونغو [٣٨] ، ولكنه ما لبث ان تخلى عن هذه الفكرة عندما لم يستطع الفوز بموعد لمقابلة ملك البلجيك لمحادثته بالامر .

ومع ان هيرتزل كان يؤكد بدأب واستمرار بان الحصول على مكان لتجمع اليهود بضمانة قانونية دولية انما يشكل خطوة اولى واكيدة نحو فلسطين، فقد واجه في المؤتمر الصهيوني السادس عاصفة من الاتهامات والاعتراضات — خصوصاً من الوفد الروسي بما في ذلك وايزمن ، وترددت المخاوف من ان تكون

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٠٦ .

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ١٥١١ .

هذه المشاريع الاستعمارية بديلة عن استعمار فلسطين ، لا خطوة نحو استعمار فلسطين .

وقد دافع هيرتزل عن نفسه بقوله ان اوغنده او غيرها ليست صهيون ولا يمكن ان تكون بديلة عن صهيون ، كما دافع نوردو عن مشروع اوغنده بقوله ان هذه الرقعة من الارض لن تعدو كونها معسكراً ليلياً لليهود ... محطة في منتصف الطريق الى فلسطين [٣٩] .

شرح هيرتزل ما جرى في المؤتمر السادس في رسالة بعث بها الى قادة احدى الجمعيات الاستعمارية اليهودية بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٠٣ على الشكل التالي :

في طريقنا الى فلسطين ، هذا الطريق الذي نمضي في السير به بكل ثبات وبكل ما اوتينا من نشاط ، وصلنا الى نتيجة مرحلية . فقد عرضت علينا السلطات البريطانية مستعمرة تتمتع بحكم ذاتي في شرق افريقيا . وقد قابل المؤتمر بالاجماع هذا العرض النبيل بالامتنان العميق، وقررت غالبية المؤتمر ايفاد بعثة لاستطلاع المنطقة المذكورة وتفحص احوالها . وبعد وصول تقرير البعثة سيعقد مؤتمر خاص لاتخاذ قرار بشأن الموضوع » [٤٠] .

(٣٩) رابينوفيتس ، (خمسون سنة) ، ص ١١٤ .

(٤٠) مذكرات هيرتزل ، الجزء الرابع ، ص ١٥٦٣ — ١٥٦٤ .

وفي ١٨ ايلول ١٩٠٣ نشرت صحيفة « الجويش كرونيكل» تصريحاً لهيرتزل قال فيه ان مشروع شرق افريقيا لم يغير من مخططاتنا الاصلية بشأن فلسطين ... ان آمالنا في تحقيق هدفنا النهائي لم تكن في يوم من الايام اقوى مما هي عليه الآن . ان نضالي من اجل صهيون سوف يقوى ويعظم ويشتد بفضل القوى والظروف الجديدة التي مالت الى جانبنا .

والواقع ان مساعي هيرتزل بشأن فلسطين لم تتوقف . فقد كتب مجدداً الى المسؤولين الاتراك بتاريخ ٢٥ كانون الاول ١٩٠٣ يطلب اليهم الحصول على سنجق عكا لقاء ضريبة سنوية مقدارها مئة الف جنيه تركي ويعد من يساعده في مسعاه بالرشاوى والهدايا .

ولكن هيرتزل مات عام ١٩٠٤ قبل ان تثمر جهوده ، وبموته مات مشروع استعمار شرق افريقيا اذ اتخذ المؤتمر السابع المنعقد في تموز عام ١٩٠٥ قراراً بالتخلي عن الجهود الاستعمارية خارج الاراضي الفلسطينية .

وفي السنوات التالية غيرت القيادة الصهيونية خططها وانصرفت الى مشاريعها الاستعمارية على اساس العمل بسياسة الامر الواقع في فلسطين . ولكن هذه الجهود « التسللية » لم تفلح ولم يتحسن وضع الاستعمار الصهيوني في فلسطين الا بعد نشوب الحرب العالمية الاولى واقتراب الجيوش البريطانية من فلسطين .

وفي تشرين الاول من عام ١٩١٦ تقدم زعماء الصهيونية باقتراحات حول ادارة جديدة لفلسطين وطالبوا باقامة جاليات يهودية تحقيقاً لاماني « الحركة الصهيونية» . اما الخطوط الرئيسية لهذا البرنامج فتركزت حول الاعتراف بالقومية اليهودية وبوجودها الموحد في فلسطين واستقلالها في الامور اليهودية البحتة وبتأسيس شركة يهودية لاسكان المهاجرين اليهود في فلسطين[41].

وسرعان ما اشتدت أطماع الحركة الصهيونية فتقدمت في تموز ١٩١٧ الى الحكومة البريطانية بمشروع يتضمن « الاعتراف بان فلسطين هي الوطن القومي لليهود » . وما هي الا فترة وجيزة حتى حصل اليهود على وعد بلفور الشهير الذي التزمت بموجبه الحكومة البريطانية بسياسة اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

د ــ ارض الدولة : الاهداف والاساليب

وقبل الانتقال الى الحديث عن تعريف حدود فلسطين في كتابات ومذكرات وسياسات الحركة الصهيونية لا بد لنا من تحليل سريع لاساليب وأهداف الحركة الصهيونية في مشاريعها الاستعمارية في قبرص وسيناء والعريش وشرق افريقيا .

ولعل اول ما يلاحظه المرء هو ان هيرتزل طبق في محاولاته

(٤١) كوهين (المختصر) ، ص ٧٢ .

لتحقيق اهدافه الشعار الذي أثبته في مذكراته [٤٢] « على المرء ان يستخدم جميع الوسائل لتحقيق الغاية » .

لقد كانت غايته هي عودة اليهود الى فلسطين كأمة اي اقامة دولة صهيونية في فلسطين ، ولكن موقف الحكومة التركية آنذاك حال دون تنفيذ هذه الغاية . ولذا فقد لجأ هيرتزل الى الاساليب غير المباشرة دون التخلي ، ولو لحظة واحدة ، عن محاولة حمل الحكومة التركية على التسليم للصهيونيين بمطالبهم في فلسطين .

ففي الوقت الذي درس هيرتزل فيه امكانيات التسلل الى العراق عن طريق قبول عرض الاتراك الذي افسح لليهود مجال الهجرة الى البلاد المجاورة الى فلسطين، فقد حاول ايضاً الحصول من اصدقائه البريطانيين على حقوق استعمارية في قبرص وسيناء والعريش وشرق افريقيا على اساس ان قبرص سوف تستخدم كقاعدة عسكرية صهيونية للهجوم على فلسطين واخذها عنوة . اما العريش وسيناء فسوف تستخدم ايضاً كمركز لحشد القوة اليهودية ومركز للانقضاض على فلسطين متى حان الوقت المناسب . اما مستعمرات شرق افريقيا فقد اراد استخدامها « كمعسكر ليلي » لتدريب اليهود في طريقهم الى فلسطين ...

ولكن سرعان ما تحولت اراضي قبرص والعريش وسيناء

(٤٢) هيرتزل ، الجزء الرابع ، ص ١٦١٦ .

الى ارض اسرائيلية – في عرف الحركة الصهيونية – فاصبحت في نظرهم جزءاً من مشروع فلسطين كبرى عندما اهتدى الى الفتوى التاريخية – الدينية وعندما وجد ان الضرورات العاجلة والمؤجلة تقضي بذلك ايضاً . وحين فشل هيرتزل في الحصول على قواعد الهجوم لم يستسلم لليأس، بل فكر في وسائل غير مباشرة للحصول على هذه القواعد عن طريق الحصول على مستعمرات من البرتغال او بلجيكا ومبادلة هذه المستعمرات بالاراضي التي ينشدها في جوار فلسطين كقواعد هجوم على فلسطين نفسها .

ومن الخطأ ان ننظر الى فشل هيرتزل في الحصول على الاراضي التي طلبها من الحكومة البريطانية على انه فشل كلي . فقد حقق هيرتزل في مفاوضاته منجزات هامة في طليعتها الاعتراف بالقومية اليهودية وبكون الحركة الصهيونية الممثلة الشرعية لهذه القومية ، وبحق اليهود في الوجود القومي المستقل، وبالتالي بمعاملة الحركة الصهيونية كحركة خالقة للدولة اليهودية المنشودة . ولا شك في ان جهود هيرتزل ومشاريعه واتصالاته مهدت تمهيداً فعالاً لوعد بلفور الذي حصل عليه اليهود بعد ١٣ سنة من وفاة هيرتزل وفي الارض المنشودة اياها . ولكن السؤال الذي طرحه وعد بلفور هو : هل يمكن ان يكتفي الصهاينة باقامة وطن قومي يهودي في فلسطين عوضاً عن تكريس فلسطين كلها وطناً قومياً لليهود ؟

واهم من ذلك واخطر هو السؤال عن حدود فلسطين عند الحركة الصهيونية وهذا ما سوف نعالجه في الفصل التالي .

الفصل الثالث

"أرض إسرائيل" : الإطار الجغرافي للمطامع الصهيونية

« ان فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان » .

هيرتزل

« يدعي خصومنا ان فلسطين غير قادرة على استيعاب اليهود . بلى انها قادرة على استيعاب ١٢ او ١٥ مليوناً من البشر على ان يكون من الواضح ان فلسطين تشمل الاراضي المجاورة ».

ماكس نوردو
في المؤتمر الصهيوني الخامس

« ما من صهيوني يقبل ان يتنازل عن اصغر رقعة من ارض اسرائيل » .

بن غوريون
في المؤتمر العشرين للحركة الصهيونية

طرح وعد بلفور مسألة تحديد امتـــداد فلسطين الجغرافي – اي ارض «الوطن القومي اليهودي» حسب الوعد البريطاني – بشكل ملح في صفوف الحركة الصهيونية . فبادر قادتها وكتابها الى معالجة الموضوع بدأب وجهد . وكان ذلك الاهتمام خير تمهيد للمذكرة الصهيونية الرسمية التي قدمت الى المجلس الاعلى في مؤتمر السلام ، الذي عقد بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى في باريس ، بتاريخ ٣ شباط ١٩١٩ ، وهي المذكرة التي تضمنت المطالب الصهيونية الرسمية بشأن حدود فلسطين ومستقبـــل الوطن القومي اليهودي .

وقبل ولوج البحث التفصيلي لمعـــالم الاطماع الصهيونية في فلسطين والاراضي المجاورة لها ، لا بد لنا من تقديم عرض سريع للعوامل التي سيطرت على الفكر الصهيوني في موضوع الامتداد الجغرافي والوسائل التي تمكن الحركة من تحقيق مطالبها التوسعية ، على ان نعود الى بحث الموضوع بالتفصيل في الفصل الرابع .

أ – العوامل المحددة لامتداد رقعة الارض

يتضح من قراءة محاضر المؤتمرات الصهيونية ومقرراتهـــا وخططها ، ومن نشاط قـادة الحركة الصهيونية وافكارهم ومذكراتهم واعمالهم ، ان العوامـــل التالية كانت تتحكم في تفكيرهم فيما يتعلق بمساحة رقعة الارض الموعودة وفيما يتعلق بحدود فلسطين وامتدادها الجغرافي :

١ – ان اقامة دولة اسرائيل هي الحل المنشود « للمشكلة اليهودية » في العالم .

٢ – ان الدولة اليهودية في اسرائيل هي تعبير عن القومية اليهودية وتجسيد لها ، ولما كان كل يهودي ينتمي اليها بحـــكم يهوديته فلا بد لها ان تكون من السعة بحيث تضم جميع ابناء الامة اليهودية .

٣ – ان فلسطين هي ارض دولة اسرائيل التاريخية – الدينية ، وان فلسطين هي ملك لليهود بحكم النشأة التاريخية للامة اليهودية هناك وبحكم ارتباط الدين اليهودي بالارض المقدسة .

٤ – ان فلسطين هي ارض اليهود الموعودة في الكتب المقدسة لدى اليهود والمسيحيين ، ويجب ان تشمل جميع الاماكن التي تحرك فيها اليهود ، والاماكن التي اقامت فيها القبائل العبرية في ماضي الحقب .

٥ – ان دولة اسرائيل في فلسطين يجب ان تتمتع بمقومات الدولة القادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي الاقتصادي والمنعة العسكرية ويجب ان تمتد بحيث تشمل مصادر القوة ، والارض الواسعة ، والمياه الضرورية للزراعة والصناعـــة ، والمراكز الستراتيجية التي تضمن السيطرة الدفاعية والهجومية عـــلى الاراضي المجاورة .

٦ – ان دولة اسرائيل يجب ان تكون قادرة على اسداء خدمات للدولة الامبريالية التي ترعى قيامها كنوع من المكافأة مقابل الخدمات المبذولة لتمكين اليهود من اقامة دولتهم . وقد قويت فكرة حماية اسرائيل المنشودة لقناة السويس والطريق البري الى الهند اكثر فاكثر مع توثق عرى التحالف بين بريطانيا والحركة الصهيونية .

٧ – هناك عامل خفي يستطيع الدارس للحركة الصهيونية تلمسه في كتابات القادة وخواطرهم ومحادثاتهم مع كبار المسؤولين في الدول الكبرى ونعني به عامل التأثر بالنزوع نحو الآراء والمخططات الامبريالية ، ذلك النزوع الذي كان يسيطر على تفكير السياسيين وبناة الامبراطوريات في اوروبا وقت نشوء الحركة الصهيونية .

وبكلمة اخرى ان الصهيونية استندت في مطالبها بفلسطين وتحديد امتدادها الجغرافي الى الحجج التاريخية – الدينية ، وتأثرت بالنزعة القومية – العنصرية ، وجنحت نحو تبني الآراء والمخططات الاستعمارية والامبريالية ، وطالبت بالعمق الستراتيجي والمدى الزراعي وتوفر عناصر الصناعة ، في معرض رسمها لحدود دولة اسرائيل المنشودة .

رأينا في الفصل الاول اسباب اختيار الحركة الصهيونية للارض الفلسطينية واصرارها عليها كقاعدة لدولة اسرائيل .

وسوف نباشر في بحث الاطار الجغرافي « لارض اسرائيل » بادئين بانطباعات هيرتزل واقواله عن مساحة فلسطين والمتطلبات التي تفرضها اقامة دولته العتيدة كما سنحاول ان نتتبع بايجاز مناقشات ومقررات المؤتمرات الصهيونية وآراء قادتها في الموضوع ذاته .

يقول هيرتزل في مذكراته في صدر الحديث عن الارض التي ينشدها لبناء الدولة الصهيونية (فلسطين) :

« علينا ان نطل على البحر بسبب مستقبل تجارتنا العالمية ، ولا بد لنا من مساحة كبيرة للقيام بزراعتنا الحديثة على نطاق واسع »[1] .

وفي مناسبتين أخريتين يذكر هيرتزل الرأي القائل بضرورة الحصول على « فلسطين الكبرى » التي سلف ذكرها عوضاً عن فلسطين القديمة .

وفي مناسبة اخرى يذكر هيرتزل ضرورة الامتداد حتى قناة السويس ويقول ان الشعار الذي يجب ان نرفعه هو : فلسطين داود وسليمان[2] .

واياً كانت الاعتبارات التاريخية التي سيطرت على عقل

(١) مذكرات هيرتزل ، الجزء الاول ، ص ١٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٢ .

هيرتزل وراودت احـــلامه ، فان فلسطين التي يتحدث عنها كانت اكبر من فلسطين التي تتحدث عنها الدول والخرائط الجغرافية الادارية والدولية . يقول هيرتزل في ملاحظة سجلها في مذكراته حول محادثاته الاولى مع السلطات التركية :

« ان الحكومة التركية قد طلبت ٤٠ مليون فرنك وعرضت ان تعطينا بالمقابل امتياز خط حديدي بين البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسي بالاضافة الى حق اقامة جاليات ومستعمرات في فلسطين ضمن مساحة قدرها ٧٠ الف كيلومتر مربع » (٣) .

والنتيجة المنطقية لمثل هذا الكلام هي ان يتصور القارىء ان مساحة فلسطين اكثر من ٧٠ الف كم مربع بكثير ، علماً بان مساحة فلسطين ايام الانتداب لم تتجاوز ٢٦ الف كم مربع . ومن هنا كان مبرر قولنا اعلاه ان هيرتزل يطلق اسم فلسطين على ارض واسعة تفوق مساحة ارض فلسطين المعروفة . ومع ذلك فان هيرتزل كان يتوخى الغموض المقصود لاسباب تكتيكية ، وقد اظهر ذلك بجلاء في مذكراته عندما دوّن ما دار في مقابلة تمت بينه وبين مستشار الامبراطور الالماني الامير هوهنلوهي :

« وسألني ايضاً عن الارض التي نريد وما اذا كانت تمتد

(٣) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٦٠٢ .

شمالاً حتى بيروت او ابعد من ذلك . وكان جوابي سنطلب ما نحتاجه – تزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد عـــدد المهاجرين » (٤) .

الا ان هيرتزل سرعان ما ينتقل من التلميح والغموض الى التصريح والوضوح . فقد كتب بعد ايام قليلة من هذه المحادثة عن المطالب التي سوف يتقدم بها الى الدول يقول :

« المساحة : من نهر مصر الى الفرات . لا بد من فـــترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون فيها الحاكم يهودياً ... وما ان تصل نسبة السكان اليهود الى الثلثين حتى تفرض الادارة اليهودية نفسها سياسياً » ٥ .

وفي اعقاب مؤتمر بال ووضـــع البرنامج الصهيوني في المؤتمر الصهيوني الاول شعر هيرتزل وغيره (كما رأينا في الفصل السابق) بضرورة الحصول على فلسطين بطريق غير مباشر وبضرورة الاحتشاد على ابوابها ومنافذها وبالقرب منها للانقضاض عليها في اول فرصـــة تسنح وذلك بسبب الموقف الصلب الذي وقفته الحكومة التركية من مسألة منح اليهود ميثاقاً سياسياً تنفـــذ الصهيونية بموجبه برنامجها الاستعماري والسياسي .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٠١ – ٧٠٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٧١١ .

في هذه الفترة بالذات تقدم دافيد تريتش بمشروع استعمار قبرص وتهويدها ونادى بضرورة تبني شعار « فلسطين كبرى » اي فلسطين والاراضي المجاورة لها بما في ذلك صحراء سيناء وجزيرة قبرص . ومع ان آراء تريتش لم تتحول الى قرارات في المؤتمرات الصهيونية المعقودة في الفترة الواقعة ما بين عام ١٨٩٨ وعام ١٩٠٢ الا انها كانت تكتسب قوة متزايدة من الوجهتين العملية والنظرية . فقد رأينا كيف ان هيرتزل تبنى فكرة استعمار قبرص وتهويدها وسعى من اجل الحصول على سيناء والعريش وكيف اطلق على شبه جزيرة سيناء اسم « فلسطين المصرية » وكيف قبل فكرة تهويد قبرص على اساس انها تشكل جزءاً من فلسطين بموجب نصوص التلمود .

بيد ان الالتزام بهذه المطالب اصطدم بعقبة شكلية قوية ، ألا وهي البرنامج الذي وضعه المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧ والذي اقتصر بشكل واضح على فلسطين . وما هي الا فترة وجيزة حتى بادر انصار فكرة توسيع امتداد رقعة ارض الدولة الصهيونية المنشودة الى عقد عدة مؤتمرات صهيونية عام ١٩٠١ في مختلف انحاء اوروبا (النمسا ، المانيا ، روسيا) لتبني توسيع برنامج عام ١٨٩٧ . وفي مؤتمر الصهيونيين الالمان الذي عقد في ٣٠ نيسان ١٩٠١ قرر المؤتمرون ما يلي :

« ان المؤتمر يرى انه من واجب الصهيونيين الاهتمام

بالاراضي المجاورة لفلسطين والنضال من اجل توجيه الهجرة اليهودية الى تلك الاراضي » [٦] .

وقد ظهرت نتائج تلك المبادرات في المؤتمر الصهيوني الخامس حيث حاول دافيد تريتش ادخال فكرة « فلسطين الكبرى » في البرنامج الصهيوني الرسمي . ولكنه لم ينجح في مسعاه هذا نظراً لان المؤتمر رفض استبدال فلسطين وان لم يرفض مبدأ امتداد رقعتها . ومع انه لم يخرج بانجازات ملموسة « فقد كان بامكانه ان يغادر مدينة بال بشعور من الارتياح نظراً لان افكاره اخذت تضرب جذورها في الارض » [٧] . كذلك فقد اظهر هيرتزل في الفترة ذاتها ميلاً واضحاً اكيداً نحو تبني فكرة «فلسطين الكبرى» فأطلق على شبه جزيرة سيناء لقب « فلسطين المصرية » في رسالته التي بعث بها الى اللورد روتشيلد في ٤ تموز ١٩٠٢ والتي اشرنا اليها .

وبعد وفاة هيرتزل خطت السياسة الصهيونية خطوة جديدة في مجال استعمار فلسطين وتمت « الهجرة الثانية » عام ١٩٠٧ — ١٩٠٨ وفق خطة استراتيجية (من الناحيتين السياسية والعسكرية) لاقامة شبكة من المستعمرات في مختلف انحاء البلاد . وقد اعطتهم هذه المستعمرات الحجج اللازمة لرفض

(٦) رابينوفيتس (تهويد قبرص) ، ص ٤٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

مقترحات سيكس التي قدمتها لهم الحكومة البريطانية ، إثر توقيع اتفاقية سيكس بيكو السرية مع فرنسا (١٩١٥) على اساس ان الحدود المقترحة تعني خسارة مستعمرات الجليل الاعلى وان المنطقة الدولية المقترحة تحرم الوطن القومي اليهودي من القدس ومن المستعمرات القريبة من يافا [(٨)] .

وفي مجال شرحه للاجواء السائدة داخل الحركة الصهيونية حول توافق مطامع الصهيونية مع المخططات الامبريالية الغربية يكشف حاييم وايزمن الزعيم الصهيوني المعروف الاطماع الصهيونية الصريحة في لبنان وسورية اذ يقول :

«وحتى مطلع عام ١٩١٧ كانت القيادة الصهيونية واقعة تحت الوهم الساذج بان فرنسا ليست مهتمة بالبلاد الواقعة الى جنوب بيروت ودمشق وانه بامكان الصهيونية الحصول على هذه المنطقة برمتها ضمن الوطن القومي اليهودي » [(٩)] .

ب — حدود « فلسطين التاريخية »

والواقع هو انه في الوقت الذي كان فيه الصهاينة متفقين

(٨) فريسكوسر رعنان ، « The Frontiers of A Nation » (حدود وطن) ، لندن ، ذي باتشوورت بريس ، ١٩٥٥ ، ص ٧٨ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٨٢ — ٨٣ .

حول ضرورة الحصول على امتداد جغرافي واسع لفلسطين او « ارض اسرائيل » ، فان حدود هذا الامتداد لم تكن محددة بدقة ولم يكن هناك اي اجماع حول هذه المسألة . ولم يكن من قبيل الصدف ان تنصب نشرة « فلسطين » ، الناطقة بلسان لجنة فلسطين البريطانية — وهي مؤسسة صهيونيـة — مسألة حدود فلسطين كما تريدها الحركة الصهيونية . وقبل ان نستعرض تلك الحدود وما تعكسه من معالم السياسة الصهيونية لا بد لنا من التنويه بان الحركة الصهيونية كانت في عام ١٩١٧ قد اعتمدت الامبراطورية البريطانية مركزاً رئيسياً لتخطيط وتنفيذ سياستها الرامية الى الاستيلاء على فلسطين والاراضي المجاورة لها .

في ١٥ شباط عام ١٩١٧ نشرت « فلسطين » المشار اليها اعلاه مقالاً بعنوان « حدود فلسطين » جاء فيه ما يلي :

« لكل كاتب معني بشؤون فلسطين ، تعريفه لحدود ذلك البلد ... ولكل استنتاجاته الخاصة المنسجمة مع طبيعة الهدف الذي يقصده في المجالات الدينية او العلمية او السياسية . وبالتالي فان الاستنتاجات تختلف باختلاف القاعدة التي يستند اليها التعريف ، اي ما اذا كان التعريف يستند الى نصوص التوراة او التاريخ او الجغرافيا » .

والسؤال الذي يبرز الآن هو كيف كان ينظر الصهاينة الى هذه الناحية الاساسية في مجال تعريفهم لحدود فلسطين ؟

من الممكن العثور على الجواب في مذكرات وايزمن قائد الحركة الصهيونية في تلك المرحلة الدقيقة الحاسمة من مراحل تحقيق الصهيونية لاهدافها الرئيسية . يقول وايزمن :

« انني اعلم بان الله قد وعد ابناء اسرائيل بفلسطين ولكنني لا اعرف الحدود التي رسمها . انني اعتقد بانها اوسع من الحدود المقترحة الآن وربما ضمت شرق الاردن . فاذا حافظ الله على وعده لشعبه في الوقت الذي يختاره فان واجبنا هو انقاذ كل ما يمكننا انقاذه من بقايا اسرائيل »[١٠] .

وعلى هذا الاساس تتابع المقالة المنشورة في « فلسطين » شرحها للاهداف التي يتحدد على ضوئها تعريف حدود الارض المقدسة قائلة :

«ان الحدود التي نريد ان نتكلم عنها هي حدود فلسطين المستقبل . ان الارض اللازمة تشمل ارث قبائل اسرائيل الاثنتي عشر ايام التوراة ، بالاضافة الى الامتدادات الضرورية للحفاظ على وحدة الارض وسلامتها .

الحد الغربي هو البحر الابيض المتوسط .

اما الحد الشرقي فهو حدود الارض التي كانت تملكها

---

(١٠) وايزمن ، ص ٤٧٤ .

قبائل اسرائيل الممتدة من الشاطىء في شمال صيدا بخط مستقيم الى نقطة تساقط شلالات نهر الاعوج في بحيرة الهيجانة الى الجنوب من جنوب شرق دمشق . ويمتد الحد الشرقي من هذه النقطة عبر وادي نهر الاعوج ثم ينحرف في انحناءة عريضة ليضرب شرقاً المنطقة الجبلية في جبال اللجا الى نقطة ٣٢° ٣٠َ شمالاً . ومن هناك ينحرف في اتجاه غربي الى نهر اليرموك ومن هناك غرباً عبر النهر الى البحر الميت . ويمتد الحد الجنوبي من طرف البحر الميت الى وادي عربة الى ٣٠° ٣٠َ ومن هناك غرباً حتى وادي العريش ممتداً مع هذا الوادي الى البحر » .

ثم تنتقل المقالة الى معالجة مسألة الدفاع عن فلسطين « التي تتطلب حماية فعالة على الحدود » ، فتقول :

« ان الحد الستراتيجي الطبيعي الوحيد هو القطاع الضيق الذي يقع في الشمال ، من صيدا الى اقصى الحد الجنوبي للبنان . والحد الطبيعي الآخر هو وادي البقاع في حال حيازة الاطراف الجنوبية للبنان وجبل الشيخ وتحصينها بشكل يكفل السيطرة على المخرج الجنوبي لهذا الوادي » .

وتضيف المقالة قائلة :

« ان الاعتبارات الاقتصادية والستراتيجية السالف ذكرها تشير الى الاهمية الحيوية الكامنة في السيطرة على جزء

من الخط الحديدي الحجازي خصوصاً وان ميناء العقبة هو جزء من الارض الفلسطينية . ان هذه الاعتبارات تفرض التعريف التالي لحدود فلسطين المستقبل :

« في الشمال ، الاميال الخمسة الاولى من مجرى نهر العوالي ، ومن ثم اعتبار دمشق كحد شمالي ، واذا تعذر الحصول على دمشق - وفي ذلك خسارة فادحة تثير حقنا في التعويض في اماكن اخرى - يمتد الحد من الجنوب الشرقي من نهر العوالي حتى الحد الجنوبي لسلسلة جبال لبنان وجبل الشيخ الى نقطة تقع في درجة ٣٦° شرقاً و ٣٣° و ١٥َ شمالاً ، ومن ثم يتجه الحد بخط مستقيم الى بصرى الشام (٣٢° و ٣٠َ شمالاً) . ومن هذه البلدة يتجه الحد جنوباً في خط متواز مع الخط الحديدي وعلى بعد مسافة تتراوح بين عشرة اميال وعشرين ميلا شرقاً حتى يصل الى منخفض الجفر الذي يقع على بعد ٢٠ ميلا الى الشرق من معان . ومن هناك ينحرف الحد حتى يصل الى الشاطىء الشرقي لخليج العقبة على بعد بضعة اميال الى الجنوب من البلدة » .

اما بالنسبة للحدود مع مصر فقد افردت الصحيفة بنداً خاصاً لها عبرت فيه الحركة الصهيونية عن تحفظاتها ازاء حيازة مصر لشبه جزيرة سيناء فقالت في العدد نفسه :

« ان الصراع الحالي في شبه جزيرة سيناء سيعيد ، بدون

شك ، فتح مسألة الحدود المصرية - الفلسطينية » .

وهنا لا بد من شرح اشارة وردت تناولت الحدود الشمالية « من صيدا الى اقصى الحد الجنوبي للبنان » ، اذ قد يفوت القارىء المعنى الدقيق التي تنطوي عليه هذه الجملة . فالمقالة المشار اليها نشرت في مطلع عام ١٩١٧ اي عندما كانت البلاد خاضعة للتقسيمات الادارية العثمانية ، حين كانت صيدا والاراضي التي يجري فيها ونقطة مصب نهر الليطاني خارجة عن نطاق الاراضي اللبنانية ، ضمن منطقة سنجق عكا - كما يتضح من الخريطة المنشورة على الصفحة التالية .

وقد يسأل سائل ما هي اهمية هذه الوثيقة ، وما هو مدى تعبيرها عن حقيقة مطالب الصهيونية في تلك الفترة وما هي غاية الصهيونية من نشرها آنذاك ؟

ان مفتاح الجواب هنا يكمن في تحرك الصهيونية الشامل للتأثير على الحكومة البريطانية ومحاولة الحصول على اكبر رقعة من الارض المجاورة لفلسطين في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا ترسم حدود المنطقة من جديد على ضوء الاعتبارات الستراتيجية (قناة السويس ، طريق الهند ، وابعاد فرنسا عن هذه المواقع) وعلى ضوء بروز الصهيونية كحليف مقيم في المنطقة . وعلينا ألا ننسى ان عام ١٩١٧ كان عام الهجوم البريطاني على فلسطين وعام التحضير لاعلان بلفور الذي منح اليهود وطناً قومياً في فلسطين .

وفي ١٥ حزيران عام ١٩١٧ كتبت صحيفــة « الجويش كرونيكل» تقول : « يبدو ان براندايس (وهو من الشخصيات الصهيونية الاميركية النافذة لدى الرئيس الاميركي ويلسون) بحث مستقبل حدود فلسطين مع بلفور واقترح ادخال العريش في اراضي الوطن القومي اليهودي » .

في الخامس من ايار من عام ١٩١٧ تابعت نشرة « فلسطين » الصهيونية الرسمية معالجتها لحدود فلسطين لترد هذه المرة على ما نشرته جريدة « كوريرا ديلا سيرا » الايطالية حول اتفاق بريطانيا وفرنسا على الحدود الشمالية (لبنان) فكتبت تحت عنوان « لا تقسيم » تقول :

« ما من اتفاق ينص على تقسيم ارض فلسطين القديمة يمكن ان يحوز على موافقة اليهود او ان ينسجم مع امانيهم القومية » .

واعادت النشرة التركيز على الحدود التي اشرنا اليها وشددت على ضرورة توفر العوامل التالية في الارض التي ستعطى لليهود :

١ — سهولة الدفاع .

٢ — مساحة كافية للتوسع الاقتصادي .

٣ — شمول جميع المناطق التي قد تشكل مصدراً للمتاعب في المستقبل » (١١) .

---

(١١) مجلة Palestine (فلسطين) ، الجزء الاول ، العدد ١٥ ، ٥ ايار ١٩١٧ .



وبعد ان رسمت القيادة الصهيونية معالم الحدود المنشودة اخذت نشرة « فلسطين » الناطقة بلسان هذه القيادة وصف المناطق المجهولة نسبياً ، استهلتها بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩١٧ بمقالة مسهبة عن سهل حوران الكبير .

وفي ٢ تشرين الثاني من عام ١٩١٧ حصل اليهود على وعد بلفور المعروف دون ان تكون الحكومة البريطانية قد اقرت حدوداً معينة لفلسطين . وهكذا بدأت اللجنة الاستشارية لفلسطين – وهي لجنة بريطانية كانت تضم معظم الشخصيات الصهيونية – عملها لوضع مقترحات لحدود فلسطين في ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٨ . وقد قدمت هذه اللجنة مقترحاتها « استناداً الى العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية » على الشكل التالي :

في الشمال ، نهر الليطاني ، الى بانياس ، على مقربة من منابع نهر الاردن ثم في اتجاه جنوبي شرقي الى نقطة جنوبية قريبة من دمشق والخط الحديدي الحجازي .

في الشرق ، غربي الخط الحديدي الحجازي .

في الجنوب ، تمتد الحدود الى نقطة قريبة من العقبة والعريش .

وفي الغرب ، البحر الابيض المتوسط [١٢] .

١٢) رعنان ، ص ١٠١ .

ومعنى ذلك ان تشمل فلسطين الجليل الاعلى ، منابع الليطاني والاردن ، وحوران وشرق الاردن واجزاء من سيناء .

وفي الفترة نفسها قامت بعض الجمعيات الصهيونية في هولندا والولايات المتحدة باتخاذ قرارات مماثلة حول امتداد فلسطين الجغرافي [١٣] .

وقبل ان نقدم تلخيصاً للمطامع الصهيونية في اراضي الدول العربية القائمة المجاورة لفلسطين والتي اعلنت قبل ان يرسم مؤتمر السلام (١٩١٩) الحدود الانتدابية لهذه الاقطار لا بد لنا من الاشارة الى ان الحركة الصهيونية كانت تتمسك بمطالب اساسية نشرتها في « فلسطين » بتاريخ ١٩ تشرين الاول ١٩١٨ نوجزها فيما يلي :

« على فلسطين اليهودية ان تضم فلسطين برمتها ... ولن نرضى بأي تقسيم لفلسطين ... ان الاتفاقية اتفاقية سايكس – بيكو السرية الموقعة عام ١٩١٥ هي اتفاقية تقسيم ... فالمطالب الفرنسية المثبتة في اتفاقية عام ١٩١٥ تمس الحدود الشمالية ، ولكن فلسطين الموحدة تشمل شرق الاردن والجليل وساحل البحر الابيض المتوسط » [١٤] .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .

(١٤) « فلسطين » الجزء الرابع ، عدد ١١ .

ج – المطامع الصهيونية في شرق الاردن

امتازت مطامع الحركة الصهيونية التوسعية في الفترة الواقعة بين عام ١٩١٧ وعام ١٩٢٠ بالتركيز على المطالبة بالاراضي الضرورية للزراعة والري والصناعة والمناطق التي تكفل السيطرة الستراتيجية على مداخل فلسطين الرئيسية والمنعة العسكرية .

وعلى الرغم من هذا التقيد فان الحركة الصهيونية تمسكت بضرورة ضم شرق الاردن الى الوطن القومي اليهودي ايما تمسك ، وقد ظهر ذلك جلياً في النشرات الرسمية التي اشرنا اليها . فما ان اعلنت الادارة العسكرية في فلسطين في تشرين الاول ١٩١٨ حتى اعلنت صحيفة « زيونست رفيو » احتجاجها ضد فصل شرق الاردن عن المنطقة الواقعة الى غرب نهر الاردن [١٥] .

وفي ٢٨ حزيران ١٩١٩ شرحت نشرة « فلسطين » اهمية شرق الاردن بالنسبة لمستقبل الدولة اليهودية في رأي الحركة الصهيونية فكتبت تقول :

« ...لشرق الاردن اهمية حيوية من النواحي الاقتصادية والستراتيجية والسياسية لفلسطين اليهودية ... ان مستقبل

(١٥) راجع عدد « فلسطين » الصادر بتاريخ ١٩١٩/١١/٢٣ .

فلسطين اليهودية برمته يتوقف على شرق الاردن : فلا أمن لفلسطين الا اذا كانت شرق الاردن قطعة منها . ان شرق الاردن هي مفتاح البحبوحة الاقتصادية في فلسطين » [١٦] .

وبالاضافة الى « الضرورات » العسكرية والاقتصادية والسياسية ، هناك عامل قلة السكان ووقوع المنطقة تحت السيطرة البريطانية .

وقد تضمنت المذكرة الرسمية [١٧] التي قدمتها المنظمة الصهيونية لمؤتمر السلام مطالبة صريحة بالاراضي الواقعة شرق نهر الاردن . وقد جاء في تلك المذكرة في معرض تعليل المطالبة بهذه الارض العربية — ما يلي :

« منذ ايام التوراة الاولى والسهول الخصبة الواقعة الى شرق نهر الاردن مرتبطة من النواحي الاقتصادية والسياسية ارتباطاً وثيقاً بالارض الواقعة الى الغرب من نهر الاردن .

« ان هذا البلد ، القليل السكان حالياً ، كان على ايام الرومان آهلاً مزدهراً ، وهو قادر اليوم على استقبال المستعمرين على نطاق واسع . ان الاعتبار العادل لحاجات فلسطين والجزيرة العربية يتطلب توفير الاتصال بالخط الحديدي الحجازي على طول امتداده لكل من البلدين .

(١٦) « فلسطين » ، الجزء الخامس ، عدد ٢٠ .

(١٧)

« كذلك فان تطوير الزراعة في شرق الاردن يجعل من اتصال فلسطين بالبحر الاحمر وبناء موانيء صالحة في خليج العقبة ضرورة ملحة . ومن الجدير بالذكر ان العقبة كانت ، منذ ايام سليمان فصاعداً ، نهاية طريــق تجاري هام في فلسطين » .

وحين أقدمت بريطانيا على انشاء امارة شرق الاردن وفصلها عن الاراضي الفلسطينية التي شهدت بانشاء « الوطن القومي اليهودي » فيها ، احتجت الحركه الصهيونية بشدة ولم تعترف بالوضع الجديد الذي « حرم فلسطين من ثلثي مساحتها بضربة واحدة » حسب قول زعماء الصهاينة . وقد حاولت الحركة الصهيونية مراراً اقامة جاليات ومستعمرات صهيونية شرق الاردن دون جدوى . ومع ذلك فلم يفقد اليهود الامل وظلوا يصرون على ضرورة الحصول على شرق الاردن حتى الخط الحديدي الحجازي (حيث يقطن ٩٩ ٪ من سكان الاردن الحاليين) وقد اشار وايزمن بعد اعلان قيام امارة شرق الاردن الى ان تدفق اليهود وزيادة اعدادهم في فلسطين هي الوسيلة الى التوسع في شرق الاردن [١٨] .

ومن يقرأ مذكرات زعماء الصهيونية وتصريحاتهم وخطبهم

(١٨) «Collected Papers» (اوراق مجموعة) ، النادي الثقافي العربي، بيروت ، ص ١١ .

عقب اعلان قيام دولة اسرائيل يدرك ان استيلاء اليهود على الاردن بضفتيه الغربية والشرقية مسلمة سياسية وخطة عسكرية جاهزة للتنفيذ حالما تسنح الفرصة المؤاتية .

د – المطامع الصهيونية في سورية

سلف وان أشرنا الى الحدود المبدئية التي طالبت بها الحركة الصهيونية . ومن الخطأ ان يظن القارىء ان هذه الحركة المنظمة ذات القيادة الواعية لمهامها ومراميها كانت تطالب بهذه الرقعة الواسعة على غير هدى ، فقد اوفدت قيادة الحركة الصهيونية بعثة دراسية علمية للكشف على الاراضي المعنية ، ولا سيما على الاراضي المجهولة نسبياً . وحين عادت البعثة الدراسية قدمت تقاريرها الى الجهات الصهيونية المختصــة فظهرت على شكل دراسات وصفية للارض « الضرورية » لفلسطين اليهودية .

ففي ٢٣ حزيران ١٩١٧ نشرت « فلسطين » مقالة مسهبة عن سهل حوران الكبير استهلته بقولها :

« ما من منطقة مقدر لها ان تكون اكثر تأثير على تطوير فلسطين جديدة من حوران » ...

والسؤال الذي لا بد من طرحه الآن هو كيف يعرف الصهاينة حدود سهل حوران الكبير ؟

تجيب المقالة على هذا السؤال على الشكل التالي :

« يحد سهل حوران الكبير جنوباً وادي الزرقاء ويمتد شمالاً حتى دمشق . اما في الغرب فيحده الغور او وادي الاردن الذي يفصله عن فلسطين الغربية . وفي الشرق يتصل تدريجياً بالهضبة الصحراوية وبذلك يضم في الشمال جولان ، وهضبة حوران والتلال البركانية في جبال اللجا وفي الجنوب ارض البلقاء » .

وفي حزيران ١٩١٨ نشرت « فلسطين » مقالة كتبها دافيد بن غوريون واسحق بن زفي (الاول تولى رئاسة الوزارة الاسرائيلية مدة طويلة من الزمن، اما الثاني فتولى رئاسة الدولة الصهيونية بعد موت وايزمن) ، تحت عنوان « حدود فلسطين ومساحتها » جاء فيها :

« يحد فلسطين غرباً البحر الابيض المتوسط وفي الشمال جبل لبنان وفي الشرق الصحراء السورية (صحراء الشام) وفي الجنوب شبه جزيرة سيناء ، هذه هي الحدود التي حددتها الطبيعة لفلسطين » [١٩] .

ان الاشارة الى الطبيعة في هذا المقال لم تكن وليدة الصدفة. فقد ابدى كاتبا المقالة استعداداً « للتنازل » عن الحدود التاريخية الواردة في التوراة اي شمول الفرات لقاء تغييرات وتعديلات

(١٩) «فلسطين» ، الجزء الثالث ، عدد ١٧ .

ضرورية لضمان سلامة فلسطين المستقبل ، ارض « الوطن القومي اليهودي » .

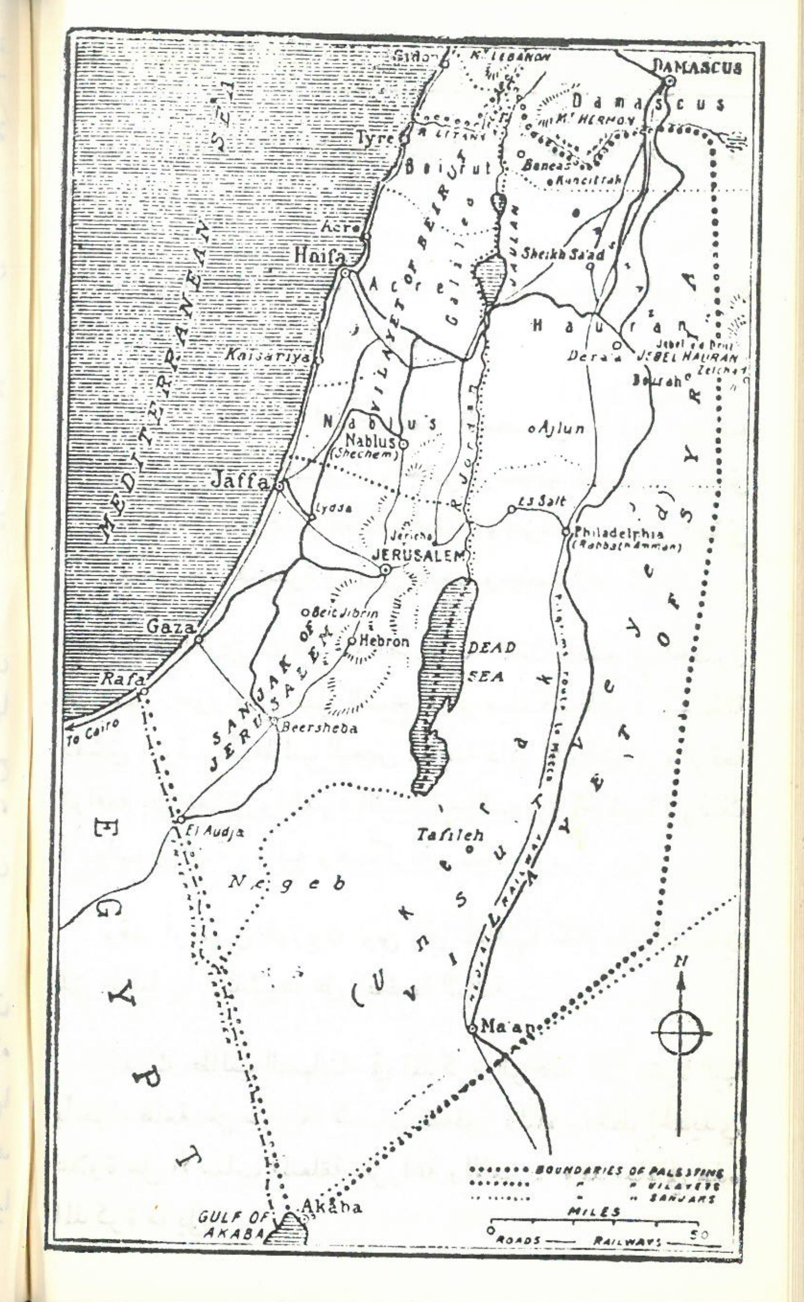
وعلى هذا الاساس يمضي صاحبا المقالة في شرح مطالب الحركة الصهيونية الى ان يخلصا الى القول :

« وبكلمات اخرى تضم فلسطين النقب برمته و «اليهودية» والسامرة والجليل وسنجق حوران وسنجق الكرك (بما في ذلك معان والعقبة) وجزء من سنجق دمشق اي اقضية القنيطرة ووادي عنجر وحاصبيا » ...

وهكذا نرى ان الحركة الصهيونية كانت تطمع في الحصول على سهل حوران وجبل الشيخ « ابو مياه فلسطين » ومنطقة دمشق (وقد طالب البعض بالمدينة ذاتها كما رأينا) والرقعة الواقعة بين دمشق والحدود اللبنانية – السورية الحاضرة، وذلك لاسباب زراعية ومائية وعسكرية وسياسية .

وقد ارفق بن غوريون وبن زفي بمقاليهما خارطة لفلسطين التي طالبا بها ، ننشرها على الصفحة التالية .

كذلك طالب الصهاينة في المذكرة الرسمية التي اشرنا اليها بأجزاء هامة من سورية لاسباب تتعلق بالمياه والخط الحديدي علاوة على الاسباب المتعلقة بالزراعة والامن . وقد جاء في هذه المذكرة ما يلي :



« ان الحياة الاقتصادية في فلسطين ... تعتمد على مصادر المياه الموجودة . ومن الاهمية الحيوية بمكان ان تضمن فلسطين استمرار تدفق المياه التي تروي البلاد حالياً، ثم وان تتمكن ايضاً من تخزينها والسيطرة عليها عند منابعها .

« ان جبل الشيخ هو ابو مياه فلسطين الحقيقي ولا يمكن فصله عن فلسطين دون تعريض حياتها الاقتصادية للخطر... ويجب ان يخضع هذا الجبل خضوعاً كلياً لسيطرة الذين سوف يستفيدون منه الى الحد الاقصى » .

وهكذا نجد ان الصهيونية تطمع فعلاً في ان تشمل رقعة دولة اسرائيل اقصى الطرف الشرقي لصحراء الشام ، وجميع الاقسام السورية الواقعة جنوبي دمشق حتى الحدود السورية مع فلسطين والاردن .

هـ — المطامع الصهيونية في لبنان

لا نبالغ اذا قلنا ان المطامع الصهيونية في لبنان كانت قائمة منذ ان اخذت الحركة الصهيونية تعد العدة لانشاء الدولة الصهيونية في فلسطين ، وان جهود الصهيونية في سبيل هذه المطامع لم تنقطع في اي وقت من الاوقات وهي لا تزال قائمة حتى اليوم .

اما مرد هذه النزعة التوسعية فهو اهمية لبنان الجنوبي للحركة الصهيونية من وجهتين حيويتين :

١ — الوجهة الاولى هي وجود منابع مياه الاردن ومجرى نهر الليطاني ومصبه في تلك المنطقة .

٢ — والوجهة الثانية هي الاهمية العسكرية والستراتيجية لهذه المنطقة بالنسبة للدولة الصهيونية .

وغير خاف ان هذين الاعتبارين يشكلان شغل الصهيونية الشاغل في جميع الاوقات والظروف .

وقد رأينا كيف احتجت الحركة الصهيونية بشدة على اتفاقية سايكس — بيكو السرية وكيف اعلنت عدم اعترافها بأي « تقسيم » لفلسطين تتفق عليه الدول فيما بينها . ومن الواضح ان الاشارة الى « التقسيم » تعني فصل لبنان الجنوبي عن فلسطين، فقد اشارت المقالة التي نشرتها « فلسطين » في ٥ ايار ١٩١٧ الى ان بانياس كانت ضمن ممتلكات القبائل اليهودية .

كذلك فقد اكدت جميع المقالات والبيانات الصادرة عن الحركة الصهيونية التي اشرنا اليها آنفاً رغبة الصهاينة في الاستيلاء على لبنان الجنوبي . وفي احدى مسودات المذكرة التي قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام طالب هيربرت صموئيل (احد اقطاب السياسيين البريطانيين واول مندوب سام عينته بريطانيا

في فلسطين المنتدبة ، وهو يهودي صهيوني) بادخال كلا ضفتي نهر الليطاني والحد الشمالي الاعلى لمنابع نهر الاردن قرب راشيا ضمن حدود الوطن القومي اليهودي [٢٠] .

وفي المذكرة الرسمية ذاتها التي قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام نجد ان المطامع التوسعية في لبنان الجنوبي تحتل المكان الاول في مطالب الصهيونية ومخططاتها . تقول المذكرة :

« ان حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلي :

« تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الابيض المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع منابع المياه التي تنبع من سفوح سلسلة جبال لبنان حتى جسر القرعون ثم الى البير ، وتتبع الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي التيم ثم الى اتجاه جنوبي يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ ... » .

وقد رأينا كيف أصرت الحركة الصهيونية في مذكرتها الرسمية على **السيطرة على مصادر المياه عند منابعها اي منابع الاردن والليطاني على حد سواء .**

وفي ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٩ اقترحت نشرة « فلسطين »

(٢٠) رعنان ، ص ١٠٥ .

الناطقة بلسان الحركة الصهيونية مد الحدود الى شمال صيدا وادخال مدينة صيدون القديمة ضمن الاراضي الفلسطينية ، فيشمل الساحل الفلسطيني بذلك ضواحي مدينة بيروت .

وفي ٦ كانون الاول من عام ١٩١٩ حددت زعامة الحركة الصهيونية اطماعها بلبنان الجنوبي على الشكل التالي :

« ان الحقيقة الأساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين هي انه لا بد من ادخال المياه الضرورية للري والقوة الكهربائية ضمن هذه الحدود، وذلك يشمل مجرى نهر الليطاني ومنابع مياه الأردن وثلوج جبل الشيخ » [٢١] .

وبامكاننا ان نجد مثل هذا الوضوح حول المياه والحدود الشمالية في الرسالة التي بعث بها هيربرت صموئيل الى احد اعضاء الوفد البريطاني في محادثات السلام في باريس :

« ان نجاح مخطط مستقبل فلسطين بأسره يعتمد على مدى قدرة البلاد على استيعاب المهاجرين اليهود وهذا بدوره يعتمد على تطوير الصناعة والزراعة . ويعتمد تحقيق ذلك على توفر المياه والقوة المائية ، ومن هنا كانت الحدود الشمالية المقترحة (اي المقترحات الصهيونية) حيوية للغاية » [٢٢] .

---

(٢١) « فلسطين » ، الجزء السادس ، عدد ١٧ .

(٢٢) « وثائق الحكومة البريطانية » عام ١٩١٩ ، الجزء الرابع ، عدد ١٩٧ ، المادة الثالثة ، ص ٢٨٥ .

وفي اجتماع حضره السيد فرانكفورتر (وهو صهيوني اميركي كان يتمتع بنفوذ لدى الرئيس ولسون) والقاضي برانديس وبلفور صاحب « الوعد » المعروف واللورد بيرسي ، جرى حديث حول الشروط الضرورية لتحقيق البرنامج الصهيوني في فلسطين . وقد وجد المجتمعون ان هناك ثلاثة شروط اساسية هي :

« اولاً – ان فلسطين يجب ان تكون الوطن القومي لليهود لا ان يكون لليهود وطن قومي في فلسطين وحسب.

« ثانياً – يجب توفير مجال اقتصادي رحب لفلسطين اليهودية واكتفاء ذاتي وحياة اجتماعية صحية . وهذا يعني حدوداً مناسبة لا مجرد حديقة صغيرة في فلسطين . ويعني ذلك السيطرة على المياه في الشمال ... » [٢٣] .

وبعد ان توصلت بريطانيا الى اتفاق مع فرنسا حول الحدود بين مناطق الانتداب التابعة لكل منهما ابدى زعماء الحركة الصهيونية سخطهم على هذا الاتفاق الذي « افقدهم » الليطاني والاردن الاعلى وجبل الشيخ وحوران ، « وحاولوا جهدهم لتغيير الحدود سلمياً عن طريق اقامة جاليات في لبنان وسورية. ولكن هذه المحاولات وجدت معارضة عنيفة من قبل السلطات الفرنسية . وقد صرح المسيو دي جوفينال فيما بعد انه يوافق على اسكان المهاجرين اليهود بالقرب من الفرات او في اي مكان في

---

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٧٦ .

سورية ما عدا الاماكن المحيطة بالحدود الفلسطينية لانه يخشى المطامع التوسعية الاسرائيلية »[٢٤] .

ولكن الحركة الصهيونية لم تيأس ولم تنثن عن محاولاتها للاستيلاء على منابع المياه قبيل قيام دولة اسرائيل وبعد قيامها. ولعل ما جاء في جريدة « النهار » البيروتية بتاريخ ١٣ ايلول ١٩٤٥ (ص ٢) يكشف نوايا الحركة الصهيونية واهـدافها التوسعية في لبنان مما يغني عن الشرح والتعليق :

رِجل في فلسطين واخرى في لبنان

الصهيونيون يشنون على لبنان غزواً صامتاً

كنا نعتقد ان تخوف الحكومة وتحفظ مجلس النواب من خطر الصهيونية على لبنان ، هما مجرد تحذير وتحوط اكثر مما هما من الامور الواقعية البارزة .

والواقع ان هذا الخطر قد ذر قرنه منذ امد ، غير ان المسؤولين تجنبوا اظهاره كما هو لئلا يثيروا الخواطر في وقت تحتاج فيه البلاد الى هـدوء لاجتياز المراحل المتشابكة التي تعانيها .

....

(٢٤) رعنان ، ص ١٣٩ .

فقد اتصل بنا عن ثقة ان جماعات من الصهيونيين في فلسطين شرعت منذ مدة في اجتياز الحدود الى لبنان خلسة تحت ستار الكتمان وبواسطة سماسرة ماهرين في دلهم على الطريق !...

وقد تكاثر جموع الغازين منهم على مختلف نقاط الحدود فتوزعوا بين العاصمة ومدن المحافظات . ولا نعلم اذا كان المقصود بهذه الحركة افساح المجال للاجئين الجدد الى فلسطين ام التوطن في لبنان عن طريق مشترى الاراضي والعقارات لتوسيع الوطن الصهيوني على ظهر لبنان .

وقد ترامى الينا ان في مدخل وادي ابي جميل فندقاً خاصاً للعناية بتهريب اليهود « من والى » لبنان وفلسطين ، وهو يعج بالسماسرة من وطنيين واجانب .

وجاءنا من عاصمة الجنوب ان بنت جبيل والنبطية وهما اكثر تعرضاً للغزو الصهيوني قد اعلنتا الاضراب احتجاجاً على تهريب اليهود عن طريقهما ، وحضرت الى بيروت وفود منهما تنقل الى ذوي الشأن نبأ هذا المصير المخيف .

فعسى ان تخرج تدابير الحكومة لمحاربة هذا الغزو من نطاق القول والدرس الى حيز العمل والتنفيذ لئلا يصبح لبنان ميداناً لحوادث صهيونية مؤسفة هو في غنى عنها .

ومع ان الحركة الصهيونية حاولت التزام الغموض والحذر

في موضوع الكشف عن النوايا والمخططات التوسعية فقد كتب ابا ايبان ، احد الرسميين الاسرائيليين آنذاك ووزير خارجية اسرائيل الحالي، في مطلع ايار عام ١٩٥١ في معرض نفي وجود نوايا توسعية اسرائيلية على حساب البلاد العربية المجاورة يقول :

« لسنا من المهتمين بالنيل او بالفرات ولكننا نولي الاردن ومنابعه كل اهتمام » [٢٥] .

وفي عام ١٩٥٤ نشرت الحكومة الاسرائيلية « مشروع قطن » [٢٦] ضمن مشاريعها المائية الرسمية ، وقد تضمن مشروع قطن هذا جرّ مياه نهر الليطاني الذي ينبع ويجري ويصب في الاراضي اللبنانية .

وفي مطلع عام ١٩٥٥ نشرت مجلة « ميدل ايسترن افيرز » Middle Eastern Affairs الاميركية الصهيونية مقالاً جاء فيه :

« كان من الواضح للاسرائيليين ان احلام تطوير النقب لا يمكن ان تتحقق بدون مياه الليطاني » [٢٧] .

---

(٢٥) راجع صحيفة الجيروزاليم (البالستين) بوست ، عدد ٢ ايار، ١٩٥١ .

(٢٦) جمعية اصدقاء الشرق الاوسط الاميركية ، « مشكلة مياه الاردن » ، واشنطن ، ١٩٦٤ ، ص ٧١ .

(٢٧) دانا ادامز شميدت ، «مشاريع لتسوية الخلاف على وادي نهر الاردن»، مجلة « ميدل ايسترن افيرز » الاميركية ، المجلد السادس ، العدد الاول، كانون الثاني، ١٩٥٥ .

ان المطامع الصهيونية في لبنان لا تزال قائمة بحكم العقيدة الصهيونية « والتاريخ » الصهيوني وبحكم الحاجة الاقتصادية (المائية) والعسكرية ، وان هذه المطامع تعني ان تضم اسرائيل لبنان الجنوبي بأسره اي ثلث التراب اللبناني وان تستولي على مياه الاردن والليطاني عند مصادرهما .

و – المطامع الصهيونية في مصر (ج. ع. م.)

رأينا في الفصل الثاني كيف حاولت الحركة الصهيونية ايام هيرتزل الاستيلاء على العريش وسيناء على اساس ان « فلسطين المصرية » تشكل جزءاً من « فلسطين الكبرى » اي من الوطن القومي اليهودي .

وعلى الرغم من فشل جهود هيرتزل في استعمار سيناء والعريش فان الحركة الصهيونية لم تصرف النظر عن هذه البقعة من الارض العربية حتى بعد ان انتفت ضرورتها كقاعدة لاحتلال فلسطين. بيد ان الحركة الصهيونية التزمت جانب الغموض في معرض مطالبتها بسيناء في فترة زمنية قصيرة لاسباب عديدة اهمها ما ظهر من عدم تشجيع بريطانيا لفكرة سيطرة الصهاينة على جانب من جانبي قناة السويس .

وفي المقالة المنشورة في عدد نشرة « فلسطين » الصادر في ١٥ شباط ١٩١٧ حول حدود فلسطين ابدت الصهيونية رغبة

واضحة في اعادة بحث موضوع سيناء والحدود مع مصر بعد انتهاء الحرب . وفي المقالة التي كتبها بن غوريون وبن زفي في عام ١٩١٨ نادى الكاتبان بضرورة ضم العريش للوطن القومي اليهودي . ومما جاء في المقالة المذكورة ايضاً قولهما :

« ... ان الجزء الشرقي لفلسطين ليس اصغر رقعة من الجزء الغربي وتبلغ مساحته ٢٧ الف كم^2 ، فاذا جمعنا ذلك الى اراضي العريش اصبحت المساحة ٦٠ الف كم^2 » [٢٨] .

وفي المذكرة الصهيونية الرسمية التي اشرنا اليها جاء ما يلي :
« وفي الجنوب حدود يتفق عليها مع الحكومة المصرية » (اي السلطات البريطانية في مصر) .

والواقع هو ان الحركة الصهيونية لم تتخـــل لحظة عن مطامعها في ان تمتد دولة اسرائيل حتى الضفة الشرقية لقناة السويس ، وقد بذلت في الفترة الواقعة ما بين وعد بلفور ونهاية الانتداب البريطاني على فلسطين جهوداً متواصلة لتحقيق مطامعها في سيناء . فقد كان الصهاينة حريصين اشد الحرص على اقامة حاجز يفصل اجزاء الوطن العربي عن بعضها البعض والحيلولة دون اتصال مغرب الوطن العربي بمشرقه وعرقلة الوحدة العربية منذ البدء وبأي ثمن . ولقد ادرك الصهاينة اهمية هذا الموضوع

(٢٨) «فلسطين» ، الجزء الثالث ، العدد ١٧ .

فعملوا على تحقيق مآربهم هـــذه بدأب واستمرار ومن يطالع مذكرات الكولونيل مينرتزهاغن (٢٩) يدرك مـــدى اهمية الموضوع ومقدار الحاح الصهاينة المتواصل في الحصول على سيناء . وسوف نرى فيما بعد كيف اندفعت الصهيونية الى تحقيق اطماعها التوسعية في الارض المصرية دون ادنى تردد عند اول فرصة .

(٢٩) ر. مينرتزهاغن ، « مفكرة الشرق الاوسط ١٩١٧ – ١٩٥٦ » ، لندن ، ذي كريسيت بريس ، ١٩٥٩ .

الفصل الرابع

دوافع التوسع الصهيوني في الوطن العربي[1]

« ان الوطن القومي اليهودي الذي يشمل ضفتي الاردن يشكل وحدة تاريخية وجغرافية شاملة . وتقسيم الوطن هو عمل غير مشروع . وان اية موافقة على التقسيم لا تعتبر مشروعة او ملزمة للشعب اليهودي . ومن واجب هذا الجيل ان يعيد الاجزاء المقتطعة من الوطن الى حياض السيادة اليهودية » .

حزب حيروت

«سوف نطالب بدولة تشمل الحدود التاريخية».

منظمة الاصلاحيين اليهود

« ان حزب المابام يعمل من اجل ضم جميع اراضي فلسطين الى اسرائيل » .

صحيفة **«الجيروزاليم بوست»** الاسرائيلية

«ان حدود اسرائيل هي من الفرات الى النيل».

يهودا ميمون

من خطاب القاه بالنيابة عن الحكومة الاسرائيلية

« ان دولة اسرائيل قد قامت فوق جزء من ارض اسرائيل » .

بن غوريون

قد يسأل سائل : لماذا تريد الصهيونية التوسع بعد ان قامت دولة اسرائيل وقويت واستمرت لمدة تزيد على ثمانية عشر عاماً ؟ وهل من الضروري ان تكون هناك علاقة على الصعيد العملي التطبيقي بين ما طالب به الصهاينة من الارض العربية في المراحل الاولى وبين المخططات الصهيونية في يومنا هذا ؟ اليس من المحتمل ان يكون حصولهم على « الدولة » قد ارضاهم من جهة واجبرهم على « التفكير المسؤول » من جهة اخرى ، الى درجة تصبح معها محاسبتهم على اقوالهم ومطالبهم التوسعية في المراحل التي سبقت قيام اسرائيل ضرباً من قسر نزوات الماضي على حقائق الحاضر والقفز من الاقوال الى الاعمال ؟

هذه الاسئلة وغيرها تطرح نفسها علينا في معرض تحليلنا للدوافع التوسعية الصهيونية والاسباب الموجبة له .

والحقيقة الاساسية البسيطة في هذا الصدد هي ان الحركة

الصهيونية حركة دينامية ناشطة تميزت بحفاظها على الترابط المستمر بين اهداف الماضي واعمال الحاضر ومخططات المستقبل . ولن يتسنى لنا فهم او ادراك كنه المخططات التوسعية الصهيونية في اطارها التاريخي ما لم نفهم طبيعة نظرة الحركة الصهيونية نفسها الى ما حققته من منجزات ومكتسبات تجسدت في قيام دولة اسرائيل وفي نموها ، وتزايد قوتها ، وما لم نفهم طبيعة احساس الصهاينة بضرورات الحاضر وتحديات المستقبل وطبيعة الحل الموضوع لعلاج المشاكل ومواجهة الضرورات والتحديات .

ويمكن رد دوافع المطامع الصهيونية التوسعية الى عاملين رئيسيين هما :

١ – ضغط الفكرة : اي العامل العقائدي .

٢ – الحاح الواقع : اي الضرورات العسكرية والاقتصادية.

أ – ضغط الفكرة : العامل العقائدي

ان الدوافع العقائدية للتوسع الصهيوني تنبع من صميم العقيدة الصهيونية ومن صلب الحل الصهيوني « للمشكلة اليهودية » ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً باسباب اختيار فلسطين ومطالبتهم بها على اساس انها « الوطن القومي » التاريخي « للشعب اليهودي » . وقد ربط ذلك كله الحركة الصهيونية بمطلبين اساسيين لم تتخل عنهما هذه الحركة في يوم من الايام ولن تتخلى عنهما في حال من الاحوال :

أ – الحصول على ما يسمى بـ « ارض اسرائيل » على الاساس الذي سلف شرحه في الفصول السابقة .

ب – اعادة « الشعب اليهودي » الى ارضه التاريخية لان الحياة في « المنفى » اي خارج فلسطين مخالفة للدين اليهودي وللحياة القومية الطبيعية « للشعب اليهودي » .

رأينا في الفصل السابق كيف حاول الصهاينة توسيع حدود « الوطن القومي اليهودي » قبل وعد بلفور وبعده ، وكيف احتجت المنظمة الصهيونية على الحدود الانتدابية للبنان وسورية، وعلى انشاء امارة شرق الاردن ، فلم تعترف الحركة الصهيونية بهذه الحدود (وبصورة خاصة لم تعترف بالكيان الاردني) ، بل حاولت اقامة المستعمرات والجاليات الصهيونية في الاراضي الواقعة خارج حدود فلسطين المعروفة تمهيداً للسيطرة عليها وضمها الى اراضي « الوطن القومي اليهودي » .

وفي جميع مراحل العمل الصهيوني في فلسطين كان شعار الحركة الصهيونية غير المعلن يسير الى حد بعيد وفق الشعار التالي : « خذ ما تستطيع الحصول عليه دون ان تتخلى عن اي هدف من اهدافك، واعمل على اساس الاستفادة من كل ما تحصل عليه لتحقيق الاهداف القريبة والبعيدة على حد سواء » . فالصهيونية كانت تتمسك ، ولا تزال ، « بفلسطين التاريخية » و « بحقوق الشعب اليهودي في ارضه » ، حتى عندما كانت تقبل

قبولاً مرحلياً ما تعتبره اقل من «حقوقها المشروعة» . ان اقوال مندوب الوكالة اليهودية امام احدى لجان الامم المتحدة التي شكلت لدراسة « مشروع الاكثرية » المقدم من انسكوب Unscop لتقسيم فلسطين [اي المشروع الذي نادى بضرورة قيام دولة يهودية في فلسطين] تشكل دليلاً قاطعاً على حقيقة النوايا الصهيونية في هذا الصدد :

« ان الشعب اليهودي لم يستقبل مشروع الاكثرية بارتياح . لقد صرح دافيد لويد جورج – الذي كان رئيساً للوزارة البريطانية ايام اعلان بلفور – بان الاعلان المذكور تضمن وعداً بتحويل فلسطين كلها بما في ذلك شرق الاردن الى دولة يهودية . ومع ذلك فقد إقتُطع شرق الاردن من فلسطين عام ١٩٢٢ واصبح بعدها مملكة عربية . والآن يراد اقتطاع دولة عربية ثانية مما تبقى من فلسطين بحيث تصبح ارض الوطن القومي اليهودي اقل من ثمن ١/٨ الارض التي كانت مقررة له .

« ويجب ألا يطلب احد من الشعب اليهودي ان يتحمل هذه التضحية .

« ... بعد ضياع شرق الاردن باتت مساحة فلسطين عشرة آلاف ميل مربع فقط . ومع ذلك فان خطة « مشروع الاكثرية » تقضي بتخفيضها الى النصف . لقد

طالبت اونسكوب بحرمان الدولة اليهودية من الجليل الغربي وفي ذلك ظلم وعثرة خطيرة للدولة اليهودية .

« ومع ذلك فالوكالة اليهودية مستعدة لقبول التقسيم وقبول التضحيات على اساس عقد محادثات دستورية واخضاع الحدود لتغييرات مقبلة »[١] .

ولم يكن هـذا المنطق وتلك الارقام وذلك الوضوح في المطامع التوسعية الصهيونية بظاهرة فريدة . فالواقع الذي يجابه كل دارس للقضية الفلسطينية وكل متتبع للسياسة الصهيونية هو انه منذ قيام دولة اسرائيل وقادة هذه الدولة يؤكدون ان اسرائيل كما هي قائمة الآن ليست سوى خطوة في الطريق الى تحقيق هدف الصهيونية في قيام دولة كـبرى فوق « ارض اسرائيل » التاريخية ، وانها محطة في ذلك الطريق وليست نهايته في حال من الاحوال . وقـد ظهرت النزعة التوسعية المرتبطة بالعامل العقائدي جلية واضحة عقب اعـلان قيام اسرائيل مباشرة . ففي انتخابات عام ١٩٤٩ رفض حزب حيروت رسمياً حدود دولة اسرائيل بالعبارات التالية :

« ان الوطن القومي اليهودي ، الذي يشمل ضفتي الاردن ، يشكل وحدة تاريخية وجغرافية كاملة . وتقسيم الوطن هو عمل غير مشروع ، وان اية موافقة على التقسيم لا

(١) الكتاب السنوي للامم المتحدة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، ص ٢٣٤ .

تعتبر مشروعة او ملزمة للشعب اليهودي . ومن واجب هذا الجيل ان يعيد الاجزاء المقتطعة من الوطن الى حياض السيادة اليهودية »[٢] .

وقد كتب الارهابي الصهيوني الشهير ميناحيم بيغن زعيم حزب « حيروت » في كتابه « الثورة » يقول :

« منذ ايام التوراة وارض اسرائيل تعتبر الارض الأم لابناء اسرائيل . وقد سميت هذه الارض فيما بعد فلسطين ، وكانت تشتمل دوماً على ضفتي نهر الاردن ... ان تقسيم الوطن عملية غير مشروعة ولن يحظى هذا العمل باعتراف قانوني ، وان تواقيع الافراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من اساسها ...

« سوف تعود « ارض اسرائيل » الى شعب اسرائيل ، بتمامها ، والى الابد »[٣] .

وقد جـاء في خطاب ألقاه ميناحيم بيغن نفسه بتاريخ ١٩٥٠/٤/٧ ما يلي :

« لن يكون سـلام لشعب اسرائيل ، ولا لارض اسرائيل ، حتى ولا للعرب ، ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه

(٢) راجع كتاب موريسون «The Middle East Survey» ، لندن ، اس سي ام ليمتد .

(٣) ميناحيم بيغن «The Revolt» (الثورة) ، لندن ، و . ه . الن ، ١٩٥٠ ، ص ٣٣٥ .

بعد ، حتى ولو وقعنا معاهدة الصلح » [٤] .

ولم يكن بيغن نسيج وحده في مطالبته « بالحدود التاريخية» (لارض اسرائيل) ، فقد نقلت صحيفة « الجيروزاليم بوست » الاسرائيلية بتاريخ ٣٠ ايار ١٩٥٠ خطاباً لمردخاي بينتوف – بصفته ناطقاً بلسان حزب المابام – انتقد فيه الحكومة لانها لم ترسل القوات المسلحة الى المناطق المجردة من السلاح ولانها اعترفت بحدود الهدنة .

كذلك فقد نشرت صحيفة « الجيروزاليم بوست » بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٥١ اعلاناً لقائمة منظمة الاصلاحيين اليهود لانتخابات المنظمة الصهيونية جاء فيه :

« في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين سوف نكون اول من يخوض معركة طلب ميثاق للمنظمة الصهيونية وسوف نطالب بدولة تشمل الحدود التاريخية » .

وفي ١٢ و ١٣ حزيران ١٩٥١ علقت صحيفة « الجيروزاليم بوست » على اهداف الاحزاب ومواقفها السياسية فقالت : ان حزب المابام اليساري يعمل من اجل ضم جميع اراضي فلسطين

(٤) المكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد العربية، « اسرائيل خطر اقتصادي وعسكري وسياسي » ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ص ٣١ .

الى اسرائيل . كذلك فان تحالف حيروت – الاصلاحيين اليميني يعمل من اجل تحرير فلسطين ضمن حدودها التاريخية .

وقد يقال هنا ان هذه الاحزاب كانت في صفوف المعارضة ولا تمثل التيار الصهيوني الرئيسي ، والجواب على ذلك هو ان زعماء المنظمة الصهيونية وزعماء حزب الماباي الحاكم يحملون الآراء ويتبنون المطامع ذاتها. فقد جاء في خطاب ابا هلل سيلفر (زعيم صهيوني اميركا) في المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٥١/٨/١٦) « ان دولة اسرائيل ما تزال صغيرة وغير مستقرة ويترتب علينا حل المشاكل التي تجابهها » [٥] .

وفي الفترة ذاتها (١٩٥١/٨/٨) جاء في الكلمة الرسمية للحكومة الاسرائيلية في مؤتمر الكيرن كيميت المنعقد في القدس، والتي ألقاها بالنيابة عن الحكومة الحاخام يهودا ميمون وزير الاديان ، ما يأتي :

« ما تزال امام الكيرن كيميت اعمال عظيمة. ان دولة اسرائيل كلها امامها وان حدود تلك الدولة هي من الفرات الى النيل » [٦] .

ان هذه التصريحات التوسعية العلنية لم تقتصر على الرسميين

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣١ .

الثانويين بل شملت زعيم الدولة اليهودية ورئيس وزرائها الاول دافيد بن غوريون الذي كتب في مقدمته للتقويم السنوي الرسمي لحكومة اسرائيل لسنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ يقول :

« نحن لم نرث بلاداً واسعة ولكنا وصلنا بعد مجهود سبعين سنة الى اولى مراحـــل استقلالنا في قسم من بلادنا الصغيرة » .

وفي عام ١٩٥٢ أكد بن غوريون المطامع التوسعية الصهيونية في معرض تقديمه للكتاب السنوي الرسمي لحكومة اسرائيل بالعبارات التالية :

« كل دولة تتكون من ارض وشعب . ان اسرائيل لا تشكل شواذاً لهذه القاعدة ، ولكنها دولة ليست مطابقة لارضها او لشعبها . فحين قامت الدولة لم تكن تضم سوى ٦ ٪ من مجموع الشعب اليهودي . وعلينا ان نقول بأن الدولة قامت فوق جزء من ارض اسرائيل » [٧] .

بل ان هذا الالتزام العقائدي بالتوسع واحتلال الاراضي العربية المجاورة يتخطى الشخصيات والاحزاب السياسية الى الدولة نفسها في وثائقها الرسمية . فقد اعلنت الدولة في الكتاب السنوي (الحكومي) لعام ١٩٥٥ التزامها الرسمي بالسياسة

(٧) « الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل » ، ١٩٥٢ ، المقدمة ، ص ١٥ .

التوسعية بالعبارات التالية :

« ان خلق الدولة الجديدة لا ينتقص في حال من الاحوال اطار الحدود التاريخية لارض اسرائيل » [٨] .

ان الدافع العقائدي للتوسع والعدوان عامل محرك وهام في تاريخ الصهيونية ، ولا تصدر الاستهانة باهمية هذا العامل وخطورة دوره الا عن جاهل لطبيعة الحركة الصهيونية او عن متستر على نواياها ومخططاتها التوسعية . فالاعمال الصهيونية من اساسها قائمة على عامل الفكرة وارادة تحقيقها . وبهذا المعنى تكون الحركة الصهيونية قد حققت توقعات هيرتزل التي سجلها في مفكرته في اعقاب المؤتمر الصهيوني الاول ، والتي اوردناها في فصل سابق ، حول اقتناعه بأنه اسس الدولة اليهودية عندما اوجد ارادة تأسيسها عند اليهود ، اي في المؤتمر الاول نفسه .

اننا نصيب كبد الحقيقة اذ نقول انه لا يمكن فهم أعمال الصهيونية واسرائيل فهماً صحيحاً كاملاً ولا يمكن ادراك نواياها وخططها السياسية والعسكرية والنفسية خارج الاطار العقائدي. فالفكرة المحركة التي اوجدت اسرائيل وبررت جهود الصهيونية العالمية التي بذلتها من اجل ايجادها والمحافظة عليها هي نفس الفكرة المحركة دوماً ، المحرضة ابداً ، على التوسع والعدوان .

(٨) المصدر نفسه ، عام ١٩٥٥ ، ص ٢٣٠ .

ولكي يتضح لنا موقع العامل العقائدي في الاعمال الصهيونية لا بد لنا من التعرض الى دوافع وتبريرات عمل صهيوني توسعي ما ووضعه في ميزان السياسية الصهيونية الكلية واطار مطامعها واعمالها التوسعية بشكل خاص . وفي ما يلي سوف نستعرض الخطاب الذي ألقاه دافيد بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل في مجلس النواب الاسرائيلي بعد تسعة ايام من العدوان الثلاثي على مصر – خريف ١٩٥٦ – المنشور في صحيفة « الجيروزاليم بوست » الاسرائيلية في ٨ تشرين الثاني .

يستهل بن غوريون خطابه على الشكل التالي :

« ان التقدم البطولي الذي احرزته قوات الدفاع الاسرائيلية قد جدد صلة الوطن بجبل سيناء . ان ذلك لم يحقق تدعيم كياننا وأمننا والسلامة الداخلية وحسب بل عزز هذا التقدم علاقاتنا الخارجية في العالم وفي الشرق الاوسط »[9].

وهكذا نرى ان الجملة الاولى من الخطاب تشير الى « تجدد الصلة » ، صلة الوطن والشعب اليهودي « بالارض التاريخية » لليهود ، هذه الارض التي كان يقطنها او حتى التي مرّ فيها مروراً قبل آلاف السنين . ان كلمة تجدد الصلة تعني في هذا

(٩) جيروزاليم بوست ، ١٢ حزيران ، ١٩٥١ .

الصدد ان احتلال اسرائيل لسيناء كان مجرد ممارسة شعب لحقه المشروع في تجديد الصلة بينه وبين ارضه التاريخية !!

لم تكن هـذه الاشارة الاستهلالية الى « التاريخ » اشارة عابرة او عرضية او من قبيل وضع المقدمات العادية ، ففي الجملة الثانية من الخطاب أعلن بن غوريون تغيير اسم شرم الشيخ واستبدله باسم يهودي ، وقال ان جزيرة ثيران التي « حررتها » قوات الدفاع الاسرائيلية ان هي الا الميناء العبري القديم « يوتفات » ، وذلك كمظهر من مظاهر الاصرار على القول بأن الارض التي احتلها الجيش الاسرائيلي انما هي جزء من « ارض اسرائيل » وبالتالي ملك لليهود ولدولة اسرائيل الحالية .

وبعد ان يعبر عن عظيم فخره وسروره « باستعادة الارض الممتدة من رأس النقيب حتى شرم الشيخ ومن خط ايلات – رفح الى قناة السويس » وهي منطقة تبلغ مساحتها ٦٠ الف كم اي حوالي ثلاثة امثال مساحة اسرائيل عشية العدوان الثلاثي ، يتابع بن غوريون خطابه قائلا :

« ان جيشنا لم يهاجم ولم يحاول ان يهاجم ارض مصر . وآمل ألا يضطرنا الديكتاتور المصري في المستقبل الى خرق الوصية القائلة بعدم العودة الى مصر ، تلك الوصية التي فرضت علينا عندما تركنا تلك البلاد قبل ٣٣٠٠ عام . لقد اقتصرت عملياتنا على منطقة شبه جزيرة سيناء » .

وبذلك يكون بن غوريون قد اوضح ما ترك غامضاً في المذكرة الصهيونية المقدمة الى مؤتمر السلام عام ١٩١٩ لا عن طريق المطالبة بهذا الجزء من « ارض اسرائيل » في بيان انتخابي او خطاب حماسي بل في مجال وصف ما قامت القوات الاسرائيلية باحتلاله فعلا بالتآمر وبقوة السلاح .

وعلى هذا الاساس والقياس فان احتلال اسرائيل للضفة الغربية والضفة الشرقية للاردن ولبنان الجنوبي يكون من باب اولى على اساس ان الصهيونية ترى ان العلاقة بـين « شعب اسرائيل » وهذه الاراضي المشار اليها لم تكن علاقة عابر سبيل بالطريق الذي سلكه بل علاقة شعب بارض اقام بها طويلا حسب المزاعم الصهيونية التي ورد ذكرها آنفاً . ان الرغبة في احتلال هذه الاراضي هي رغبة موضوعية لا جدال فيها عند الحركة الصهيونية تنتظر المناسبات والفرص المؤاتية لتنفيذها .

لقد رأى بن غوريون ومعه الحركة الصهيونية ان احتلال قطاع غزة وسيناء لا يعدو عن كونه حلقة في سلسلة الجهود والمحاولات الرامية الى اعادة « ارض اسرائيل » الى « شعب اسرائيل » اي استكمال تنفيذ شروط تحقيق العقيدة الصهيونية تحقيقاً كاملا شاملا .

ومن الخطأ ان نظن بان ضغط الفكرة الصهيونية في اتجاه العدوان والتوسع هو ضغط نظري صرف ، فلهذا الضغط جانب

مادي لما له من انعكاسات على العامل البشري . وهذا الجانب يتصل ايضاً بطبيعة الحل الصهيوني « للمشكلة اليهودية » ذلك « الحل » الذي احكم العلاقة بين اليهود واسرائيل وسددها نحو اعتبار حياة « المنفى » [اي اقامة اليهود خارج ارض اسرائيل] غير شرعية من وجهة النظر الدينية ومشينة من وجهة النظر القومية – العنصرية بعد قيام دولة اسرائيل .

ان « الحل » الصهيوني « للمشكلة اليهودية » ارتكز الى عدد من الفرضيات والوقائع والوعود الدينية ، ولكنه انطلق ايضاً وبشكل اساسي من وجود اللاسامية في اوروبا واستحالة القضاء عليها الا عن طريق هجرة اليهود من مجتمعاتهم الاوروبية ، ومن هنا نادت الصهيونية بضرورة الحصول على وطن قومي يهودي يضمن حياة عادية طبيعية لليهود . ومن يقرأ مذكرات هيرتزل وابزمن وغيرهما من زعماء الصهيونية يلاحظ تكرار ما معناه ان اليهودي يحمل اللاسامية في حقيبته (اينما سافر) ، وان لا جدوى من الاعتماد على انتشار مبادىء التسامح الديني والقومي في اقطار العالم بسبب فقدان اليهودي القدرة على الاندماج . وبالتالي فلا بد من الحل «القومي – الديني» للمشكلة اليهودية اي لا بد من تجميع اليهود في مكان واحد – فلسطين – يكون لهم دون غيرهم ، ويتمتعون فيه بحقوق المواطنية والسيادة .

وعلى الرغم من ان انتقال اليهود الى فلسطين لم يتم – ولم

يكن من الممكن ان يتم – دفعة واحدة فان هدف الصهيونية، منذ ان بادرت في تنظيم الهجرة اليهودية عام ١٩٠٧ ، كان ولا يزال هو اعادة شعب اسرائيل – اليهود – الى «ارض اسرائيل» اي « فلسطين التاريخية » على النحو الذي رأيناه في الفصل الثالث .

وقد اوضح حزب الماباي الحاكم في اسرائيل هذه الناحية ايضاحاً لا لبس فيه او ابهام عندما رفع في الانتخابات التي جرت عام ١٩٥١ لاختيار المندوبين للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين الشعار التالي :

« ان مهمة الصهيونية كانت وما تزال حل المشكلة اليهودية عن طريق جمع شتات الشعب اليهودي في ارضه ».

وقد يقول قائل ان ذلك لا يعني وجود مخططات ومطامع توسعية . ان خير جواب على هذا التحفظ هو خطاب الدكتور التمان احد زعماء حزب حيروت في البرلمان الاسرائيلي في ١٩٥١/٧/٢٩ اي بعد شهر ونصف من اعلان حزب الماباي المنشور في الصحف الاسرائيلية حيث قال :

« ان جمع الشتات معناه خمسة ملايين يهودي على الاقل في دولة اسرائيل خلال السنوات العشر القادمة . وهذا شيء لا يمكن اتمامه في الحدود الحالية لدولة اسرائيل . ولذلك

فان جمع الشتات يتطلب سياسة خارجية ترمي الى تحرير جميع أراضي اسرائيل » [١٠] .

وقد يعتقد البعض ان هذه المسألة ليست جوهرية ولا تحظى بكبير اهتمام وتفكير لدى زعماء الصهيونية الا ان الوقائع والحقائق تدحض هذا الاعتقاد الخاطىء بما لا يقبل الجدل والنقاش . فالثابت هو ان هذه « المهمة » – مهمة جمع شتات اليهود في ارض الميعاد هي مهمة صهيونية رئيسية بل انها تشكل مع مهمة الحفاظ على الكيان الاسرائيلي المهمة الرئيسية وترتبط ارتباطاً وثيقاً وعضوياً بالمهمة الاولى .

وقد شرح بن غوريون رأيه في تلك المسألة امام فريق من الصهيونيين الاميركيين في آب ١٩٤٩ على الشكل التالي :

« على الرغم من تحقيق حلم تأسيس دولة يهودية ، فاننا لا نزال في البداية . ان عـــدد اليهود الذين يقطنون اسرائيل هو تسعمائة الف فقط بينما يقيم معظم اليهود في الخارج . ان مهمتنا التالية لن تكون اسهل من خلق الدولة اليهودية . **وهذه المهمة هي استقدام جميع اليهود الى اسرائيل** » [١١] .

وفي عام ١٩٥١ عقدت الحركة الصهيونية مؤتمرها الثالث

---

(١٠) « اسرائيل خطر ... » ، ص ٤ .

(١١) عن « ديلي نيوز بوليتين » ، وكالة البرقيات اليهودية .

والعشرون في القدس، وهو اول مؤتمر عقدته بعد قيام اسرائيل؛ وقد حدد المؤتمر « مهمة الصهيونية » بوضوح تام في قراراته :

١ — « ان مهمة الصهيونية هي : تقوية دولة اسرائيل وجمع شتات المنفيين (اليهود) في ارض اسرائيل Eretz Yisrael ، وتقوية وحدة الشعب اليهودي » .

اما برنامج عمل المنظمة الصهيونية العالمية :

٢ — « (أ) تشجيع استقدام المهاجرين وهجرة الشباب واستيعابهم ودمجهم ، تشجيع الاستيطان الزراعي والتنمية الاقتصادية في البلاد ، استملاك الارض وتنميتها على انها ملك للشعب .

كما جاء في قرار آخر :

« ان المؤتمر يشدد على ضرورة تقوية الوعي القومي للمجتمعات اليهودية في المنفى » [١٢] .

وقد كررت المنظمة الصهيونية العالمية تمسكها بهذه المبادىء والمهام في المؤتمرين اللاحقين الرابع والعشرين والخامس والعشرين اي في جميع المؤتمرات التي عقدت بعد قيام الدولة الصهيونية في فلسطين [١٢] .

(١٢) المنظمة الصهيونية العالمية ، « وقائع جلسات المؤتمرات » (المؤتمرات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) ، نيويورك ، مايكروفيلم كوربوريشن .

وفي عام ١٩٥٢ تحددت العلاقة بين المنظمة الصهيونية العالمية ودولة اسرائيل بموجب اتفاقية وقعت بين اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية والحكومة الاسرائيلية استناداً الى قانون سنه البرلمان الاسرائيلي الكنيست في العام نفسه « Status Law » واستناداً الى قرارات المؤتمر الثالث والعشرين منحت المنظمة الصهيونية بموجبه صفة تمثيل الشعب اليهودي خارج اسرائيل . كما اسندت الى المنظمة الصهيونية العالمية مهمة توجيه الهجرة الى اسرائيل وتوجيه برامج دمجهم في دولة اسرائيل .

وقد نصت المادة الخامسة في هذا الاتفاق على ما يلي :

٥ — « ان رسالة جمع شتات المنفيين ، وهي المهمة المركزية لدولة اسرائيل والحركة الصهيونية في ايامنا، تتطلب جهوداً متواصلة من الشعب اليهودي في المنفى . وبالتالي فان دولة اسرائيل تتوقع تعاون جميع اليهود ، افراداً وجماعات ، في بناء الدولة وتقديم العون في هجرة الشعب اليها وتعتبر وحدة جميع فئات اليهود ضرورية لهذا الغرض » [١٣] .

(١٣) راجع جوزيف بادي، « القوانين الاساسية لدولة اسرائيل»، نيويورك، تون ببليشرز ، ١٩٦١ ، ص ٢٨٥ — ٢٨٦ .

بل ان تلك المهمة تبدو في نظر رئيس وزراء اسرائيل الحالي ليفي اشكول اكثر الحاحاً من ذي قبل ، فقد تركزت مقدمته للكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لعام ١٩٦٤ – ١٩٦٥ حول هذه النقطة بالذات حيث قال :

« ان ولاءنا للمرتكز الاساسي في الصهيونية ، لمفهوم وحدة الشعب اليهودي ، يتطلب منا ايضاً التفكير بوجوب اعتبار اسرائيل بمثابة القبلة والمرتكز للشعب اليهودي اليوم .

« اننا ندرك الانتقاد الذي يوجه للحركة الصهيونية والذي يدور بشكل خاص حول مسألة جدية للغاية ، وهو ان قيادة هذه الحركة في المنفى لم تولد قوة دافعة لهجرة اليهود الى اسرائيل ، كما ان هذه القيادة لم تكن قدوة في هذا المجال . ان هذا الانتقاد صحيح . اذا كنا صهيونيين فعلاً فاننا لا نستطيع التخلي عن مطلبنا في هجرة اليهود الى اسرائيل ، ولن نتوقف ابداً عن تأكيد ذلك » .

ان هذا الكلام الصادر عن أعلى مسؤول اسرائيلي في كتاب رسمي صادر عن الحكومة الاسرائيلية ليس كلاماً ارتجالياً وهو ليس من قبيل اطلاق الاماني ، بل هو جزء من خطة لجلب عدد كبير من يهود اوروبا الشرقية ولا سيما يهود الاتحاد السوفياتي . ولا احسب اننا نكون قد شردنا عن موضوع البحث الرئيسي اذا

ربطنا بين كلام اشكول هذا والاتهامات الباطلة التي اطلقتها الدعاية الصهيونية حول وجود نزعة لاسامية في الاتحاد السوفياتي .

ووجود مخططات لزيادة عدد سكان يهود الارض المحتلة يعني وجود مخططات اقتصادية وعسكرية للاستيعاب والتوزيع الستراتيجي والتوسع : فجلب اعداد كبيرة جديدة من اليهود الى اسرائيل يجد موجباته ودوافعه في العقيدة الصهيونية وفي الاعتبارات السياسية والعسكرية ، ويتطلب اتخاذ اجراءات ورسم مخططات اقتصادية . وبذلك يقودنا ضغط الفكرة الى الحاح الواقع الاسرائيلي الحالي بشكل يجعل التوسع امراً مقرراً محتمل التنفيذ على اية جبهة من الجبهات العربية في اي وقت يصبح فيه التنفيذ ممكناً .

ب – الحاح الواقع

ان الواقع الاسرائيلي الحالي يضغط ويلح في ناحيتين اساسيتين هما الناحية الاقتصادية والناحية العسكرية .

(١) – الناحية الاقتصادية :

من يمعن النظر في جغرافية الارض المحتلة وحاجات اسرائيل الزراعية ومشاريعها لجلب اعداد اضافية من اليهود، واثر تكثيف السكان في بقعة صغيرة على الاعتبارات العسكرية والستراتيجية ،

يدرك انـــه لا يوجد امام اسرائيل سوى طريقين لا ثالث لهما « لحل » هذه المشكلة :

(١) التوسع المباشر عن طريق احتلال اراضي عربية خصبة بعد طرد سكانها منها .

(٢) اعمار النقب بواسطة جر مياه الانهار العربية التي تنبع وتجري وربمـــا حتى التي تصب في الاراضي العربية المجاورة ، على ان يترك موضوع التوسع الكبير عن طريق الاحتلال والضم الى « ظروف اكثر ملائمة » في المستقبل القريب او المتوسط .

ماذا تقول المصادر الصهيونية في هذا الصدد ؟ في احدى كتب الجغرافية التي تدرس في المدارس الاسرائيلية نقرأ :

« اوضح الوفد الاسرائيلي [الى محادثات الهدنة ١٩٤٩] بان رسم حدود خارطة التقسيم ، التي وافقت عليها الامم المتحدة ، تم على اساس افتراض وجود السلام والتعاون الاقتصادي بـــين اسرائيل وجيرانها، ولكن الاوضاع القائمة بسبب العدوان العربي جعلت هذه الحدود غير مقبولة » [١٤] .

---

(١٤) افرايم اورني واليشا افـــرات ، « Geography of Israel » (جغرافية اسرائيل) ، ترجمه الى الانكليزية برنامج اسرائيل للترجمات العلمية ، القدس ، ١٩٦٤ ، ص ١٧٠ .

وفي ٢ ايار ١٩٥١ نشرت صحيفة [البالستين] جيروزاليم بوست الاسرائيلية تصريحاً لابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل الحالي ومندوب اسرائيل الى الامم المتحدة آنذاك ، نفى فيه مطامع اسرائيل بالنيل والفرات ولكنه كشف في الوقت نفسه عن المطامع الصهيونية في لبنان وسورية والاردن ، وقد جاء في هذا التصريح قوله :

« لسنا مهتمين بالنيل او بالفرات . ولكننا نولي الاردن ومنابعه كل اهتمام » .

ان معنى هذه الاقوال واضح كل الوضوح وهو ان « تنمية اسرائيل » وزيادة سكانها وتوزيعهم توزيعاً استراتيجياً وزيادة الانتاج الزراعي والصناعي تفرض على اسرائيل اعمار صحراء النقب عن طريق مياه الاردن ومصادر المياه الاخرى في لبنان وسورية والاردن . ولكن ذلك المخطط يتضمن احتلال اجزاء من الارض العربية المجاورة للارض المحتلة ولا سيما في لبنان وسورية.

يقول الدكتور نورمان بيرنز الرئيس السابق للجامعة الاميركية في بيروت والمستشار الاقتصادي السابق لوكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين ، وممثل النقطة الرابعة في الاردن ، في مقالة نشرت في نشرة من نشرات وكالة الاغاثة ما يلي :

« في ايار ١٩٥٨ اقترحت اسرائيل تعديلاً لخطة السنوات السبع المعروفة باسم خطة قطن بهدف التفاوض مع بعثة

جونسون (مبعوث ايزنهاور للتفاوض بخصوص خطة اقليمية لمياه الاردن) . وقد قال وزير الزراعة الاسرائيلي بان هذه الخطة تشمل كل مصادر المياه وبعض اجزاء مياه نهر الليطاني التي تجري كلية داخل لبنان . وهذا المشروع يتضمن تحويل كل مياه نهر الاردن العليا (الدان وبانياس والحاصباني) لاستخدامها في اسرائيل »[١٥] .

وقد يتوهم البعض ان مياه الليطاني ، الذي ينبع ويجري ويصب في لبنان ، ليست ناحية رئيسية في مخططات اسرائيل للسيطرة على المياه ومصادرها في المنطقة، الا ان الوقائع والحقائق تكشف هذا الوهم وترد على هذا الرأي رداً مباشراً صريحاً . فالحدود التي طالب بها الصهاينة في مذكرة ١٩١٩ وما قبل تلك المذكرة كانت تشمل الليطاني اذ ان هذه الحدود كانت تشمل مدينة صيدا وضواحيها كما تشمل بلدة القرعون اللبنانية، بل لقد طالب الصهاينة بالسيطرة على مصادر المياه عند منابعها .

ومن المفيد ان نشير مجدداً هنا الى ما جاء في مجلة « ميدل ايسترن افيرز » الاميركية الصهيونية حول مياه الليطاني :

« كان من الواضح للاسرائيليين ان احلام تطوير النقب

(١٥) « مقارنة الخطط الحالية لاستخدام مياه نهر الاردن وفروعه » ، هيئة اغاثة فلسطين التابعة للامم المتحدة ، نشرة التنمية الاقتصادية ، رقم ١٤ ، ص ٩٨ .

لا يمكن ان تحقق بدون مياه الليطاني »[١٦] .

هل ترانا ، بعد هذا الكلام ، وسجل اسرائيل العدواني الماثل امام ذي كل بصيرة، هل ترانا بحاجة الى مزيد من البراهين المتعلقة بمشاريع اسرائيل للتوسع في الاراضي العربية المجاورة .

امام مطامع اسرائيل في المياه اللبنانية الصرفة تبدو خططها ومحاولاتها لاحتلال الاراضي المجردة على الحدود السورية، لتسهيل إكمال تنفيذ مشاريعها الخاصة بتحويل مياه الاردن ، طبيعية ومتوقعة بين يوم وآخر .

ولكن الميـــاه ليست العامل الاقتصادي الضاغط الوحيد للعدوان والتوسع ، فالتجارة الاسرائيلية وتصريف المنتجات وكسر طوق الحصار الاقتصادي العربي عامل آخر لا يقل اهمية عن عامل السيطرة على مصادر المياه .

وسوف نترك الحديث عن هذه الناحية لبن غوريون اياه بصفته زعيماً للحزب الحاكم في اسرائيل ورئيساً مزمناً لمجلس الوزراء الاسرائيلي . ففي العاشر من تموز عام ١٩٥١ نشرت صحيفة « جيروزاليم بوست » الاسرائيلية خطاباً لبن غوريون جاء فيه :

(١٦) دانا ادامز شميدت، « مشاريع لتسوية الخلاف على وادي نهر الاردن »، مجلة « ميدل ايسترن افيرز » ، المجلد السادس ، العدد الاول ، كانون الثاني ١٩٥٥ ، ص ٤ .

«...سوف نبني ميناء ايلات وسوف نؤمن حرية المرور الى المحيط الهندي وذلك بقوة البحرية الاسرائيلية وسلاح الطيران والجيش» .

وقد ترجم بن غوريون هذا التصريح الى اعمال توسعية مادية إبان العدوان الثلاثي على قطاع غزة ومصر عام ١٩٥٦ ذلك العدوان الذي استهدف حسب قول بن غوريون ثلاثة اهداف :

« ١) تحطيم قوى العدو في شبه جزيرة سيناء .

« ٢) تحرير جزء من ارض الاجداد الموجودة تحت سيطرة اجنبية .

« ٣) ضمان حرية الملاحة في خليج ايلات (خليج العقبة) والسويس »[17] .

وهكذا نجد ان الضغط الاقتصادي يدفع التوسع الاسرائيلي نحو مختلف الحدود العربية وان هذا «الضغط» يشكل عاملاً هاماً في السياسة والمخططات الصهيونية .

(٢) – الناحية العسكرية :

ليس غريباً ان تولي الصهيونية الناحية العسكرية اهتماماً كبيراً ورئيسياً نظراً لان اسرائيل دولة غاصبة معتدية، ونظراً لان تصميم الشعب العربي الفلسطيني والامة العربية باسرها على سحق

(١٧) جيروزاليم بوست ، ٩ تشرين الثاني ١٩٥٦ .

العدوان الصهيوني واستعادة الحق العربي السليب في الارض المحتلة تصميم مصيري لا يحتمل المساومة او التجاهل .

ولكن «الضغط العسكري» يكتسب طابعاً ملحاً بسبب طبيعة الحدود الاسرائيلية ومساحة الارض المحتلة والتوزيع السكاني فيها وتطور القوة العربية العسكرية ، وذلك بالاضافة طبعاً الى الضغط التوسعي الناتج عن رغبة الصهاينة في «تحرير ارض الاجداد من ايدي الغاصبين» .

وسوف نستعرض فيما يلي كتابات واقوال بعض زعماء الصهيونية في الارض المحتلة ، يعرض فيها الاول «المشكلة العسكرية» ، ويقترح فيها الثاني «الحل» النظري ، والثالث يقدم فيها «التبرير» لتطبيق الحل المقترح .

في ٥ كانون الثاني من عام ١٩٥٥ كتب الماجور جنرال (اللواء) موشيه دايان اكبر مسؤول عسكري (رئيس اركان الجيش الاسرائيلي) آنذاك مقالة في مجلة «فورين افيرز» الاميركية المعروفة بعنوان «مشكلة الحدود والامن في اسرائيل» قال فيها :

«... تواجه اسرائيل مشكلة أمن معقدة تعقيداً غير عادي . ان مساحة البلاد لا تتجاوز ٨،١٠٠ ميل مربع ، ويبلغ طول حدودها ٤٠٠ ميل . ان ثلاثة ارباع سكان اسرائيل يعيشون في السهل الساحلي الممتد من شمال حيفا الى

جنوب تل ابيب . ان معدل عرض هذه المنطقة المكتظة بالسكان لا يتجاوز ١٢ ميلاً بين المتوسط وحدود الاردن . وبالامكان رؤية الجنود الاردنيين على بعد مئات الامتار من مبنى البرلمان الاسرائيلي في القدس . كما انه بالامكان رؤية مقر رئاسة الاركان الاسرائيلية الواقعة في السهل الساحلي وذلك من التلال الواقعة على الحدود الاردنية . ان الطرق الرئيسية وسكك الحديد معرضة للغزو السريع السهل . ويكاد لا يوجد مكان في اسرائيل لا تطاله نيران العدو باستثناء صحراء النقب ... » [١٨] .

اذن ما « الحل » لهذه «المشكلة» الهامة ؟ الجواب يأتينا من يعقوب ليبرمان ، المسؤول عن الشؤون الانكلو – سكسونية في حزب حيروت الاسرائيلي وعضو اللجنة التنفيذية للحزب ، وذلك في تصريح نقلته نشرة «اللاجىء العربي الفلسطيني» الصادرة عن مكتب اللاجىء العربي الفلسطيني في نيسان ١٩٥٦ جاء فيه ما يلي :

« ينبغي على اسرائيل ان تقوم بهجوم مستعجل خاطف يمكنها من احتلال النقاط الاستراتيجية على حدودها بما في ذلك قطاع غزة وعليها بعد ذلك ان تجتاح مملكة الاردن التي يدعمها البريطانيون » .

(١٨) موشيه دايان ، « مشكلة الحدود والامن في اسرائيل » ، مجلة « فورين افيرز » ، كانون الثاني عام ١٩٥٥ ، ص ٢٠٠ .

اما الامر بتنفيذ هذا « الحل » لمشكلة الضغط العسكري فقد تولاه بن غوريون وترك امر التنفيذ لموشيه دايان وجيشه . وقد رأينا ان الجملة الاولى في خطاب بن غوريون امام البرلمان الاسرائيلي حول غزو سيناء احتوت اشارة رئيسية واضحة الى ان هذا الغزو يوطد امن اسرائيل ويحميها من «العدو» «ويحرر ارض الاجداد من ايدي الغاصبين » .

ولكن ، هل كانت حملة سيناء حدثاً فريداً لا مبرر لتكراره ؟ اي هل نواجه دائماً خطر تكرار حملة توسعية اسرائيلية ؟

ان الظروف والادلة تشير الى مثل هذا الاحتمال ، فالاوضاع السياسية العربية والمؤامرات الغربية المستمرة لتمزيق محاولات توحيد الهدف العربي في تحرير فلسطين من جهة، واقدام اسرائيل على الاعداد لاستكمال مخططاتها المائية وحصولها على صفقات خطرة ، كمياً ونوعياً ، من الاسلحة والمعدات الحربية من جهة اخرى تدل على جدية التهديد الذي اطلقه ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الحالي في المقال الذي نشره في مجلة « فورين افيرز » الاميركية في تموز عام ١٩٦٥ عندما قال :

« ليس من السخف ان نتصور قادة العرب يطالبون في المستقبل بالحاح «بالعودة الى حدود عام ١٩٦٦ او عام ١٩٦٧» تماماً كما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧ « تلك الحدود التي رفضوها في الماضي » .

ولا نبالغ اذا قلنا ان صفقة الاسلحة التي حصلت عليها اسرائيل في ايار ١٩٦٦ ، بعد محادثات اجراها ابا ايبان في واشنطن مع ليندون جونسون رئيس الولايات المتحدة وروبرت ماكنمارا وزير الدفاع ودين راسك وزير الخارجية ، تشكل خطراً عدوانياً ومقدمة لحملة توسعية خطيرة في المستقبل القريب. ان هذا الرأي والاجتهاد العسكري – اذا صح التعبير – هو رأي كبار الخبراء العسكريين العرب ، فقد اولى الفريق اول عبد المحسن كامل مرتجى القائد العام للقوات البرية في الجمهورية العربية المتحدة بتصريح لمجلة « المصور » القاهرية جاء فيه :

« كانت لظروف اسرائيل الخاصة من ناحية شكل الدولة وحجم القوة البشرية والنواحي الاقتصادية ما اثر على قوتها المسلحة (الحدود ٩٥٠ كم والقوة البشرية ٢ ١/٢ والقوة المادية). ويتضح من ذلك ان شكل اسرائيل الجغرافي شكل غير طبيعي وليس لهـــا عمق استراتيجي يبلغ اقصى عرض لها ١١٠ كم واقل عرض ١٤ كم عند بلدة قلقيلية على الحدود الاردنية. وفي حديث سابق لرئيس شعبة التدريب الاسرائيلي اعترف ان اسرائيل يمكنها ان تخسر المعركة في اليوم الاول للقتال نظراً لعدم وجود العمق الكافي للمناورة بالقوات والدفاع بعمق وهم يحاولون جاهدين نقل المعركة خارج اراضيهم حتى لا يتعرضوا للهزيمة في الايام الاولى للقتال » .

واضاف الفريق اول مرتجى يقول معلقاً على صفقة الاسلحة التي حصلت عليها اسرائيل من اميركا مؤخراً :

« لا بد لهذه القوة المدرعة من العمق حتى تستطيع التحرك واجراء المناورات التي تحتاج اليها الحرب الحديثة ».

ونحن نعلم ان هذا العمق غير متوفر في اسرائيل وان هذه الناحية تنتظر « الحل » ، تنتظر حلاً مشابهاً للحل الذي الحت اليه مقالة موشيه دايان المشار اليها في مطلع عام ١٩٥٥ اي بحملة عسكرية اخرى بواسطة السلاح الجديد ومن اجل الاستفادة القصوى منه حسب اصول الحرب الحديثة .

ان الحاح العقيدة الصهيونية يشتد والضغط الاقتصادي والعسكري الاسرائيلي يتصاعـــد والظروف العربية مؤاتية ومخططات التوسع الصهيوني جاهزة بانتظار التنفيذ وقد بات تجاهل هذه الحقائق من قبل الزعماء والحكام العرب بمثابة تفريط بالمستقبل العربي وبالحق العربي في فلسطين السليبة .

الفصل الخامس

سجل إسرائيل العدواني ـ التوسّعي

لا تقتصر دراستنا للنزعة التوسعية الصهيونية على تحليل العقيدة الصهيونية والدوافع السياسية والاقتصادية والعسكرية الاسرائيلية ، بل تشمل ايضاً الاستشهاد بأدلة مادية ملموسة مستمدة من سجل اسرائيل العدواني التوسعي .

منذ البدء ، عمل الصهاينة على تنفيذ مخططهم الرامي الى استعادة « ارض الاجداد » في « فلسطين التاريخية » تحت ستار التقيد بوعد بلفور والوطن القومي اليهودي ، واعتمدوا في ذلك اسلوب التدرج : ففي المراحل الاولى عملوا من اجل ادخال المهاجرين اليهود وفق خطة استراتيجية ، ثم ما لبثوا ان طالبوا بان يصبحوا اكثرية ، وانتقلوا بعد ذلك الى العمل على اجلاء سكان البلاد الشرعيين بواسطة نشاط العصابات المسلحة والهاغانا.

والواقع ان تنفيذ المخططات التوسعية [1] الصهيونية بدأ قبل

---

(١) استخدمت كلمة « التوسع » في هذا المجال بمعنى السعي لاحتلال الارض العربية الخارجة عن نطاق الاراضي المعطاة « للدولة اليهودية » بموجب توصية الجمعية العامة ، في فلسطين والبلاد العربية المجاورة .

١٥ ايار ١٩٤٨ ، اي قبل انسحاب القوات البريطانية من فلسطين ، وقبل انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، وقبل تأسيس دولة اسرائيل رسمياً ، وقبل شهرين من الموعد الذي حددته الجمعية العامة لتأسيس دولة يهودية وقبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين[2] . قبل هذا التاريخ كانت القوات الصهيونية العسكرية وشبه العسكرية قد هاجمت واحتلت عدداً من القرى والمدن المخصصة للدولة العربية في مشروع التقسيم الذي اوصت به الجمعية العامة للامم المتحدة ، بينها يافا وعكا . كما كانت هذه القوات قد احتلت اجزاء من مدينة القدس . وقد ذكر دافيد بن غوريون في كتابه « انبعاث اسرائيل ومصيرها » ان قواته احتلت عدة مواقع عربية وحررت طبريا وحيفا ويافا وصفد »[3] قبل ان تغادر القوات البريطانية ارض فلسطين .

وهكذا فان « توسع اسرائيل في الاراضي الخارجة عن النطاق المحدد للدولة « اليهودية » من قبل الجمعية العامة قد تم قبل تأسيس اسرائيل كدولة ، وقبل ان تقع الحرب العربية

(٢) للاطلاع على تفاصيل سجل اسرائيل العدواني ، راجع كتاب الدكتور فايز صايغ «سجل اسرائيل في الامم المتحدة» الصادر عن مركز الاعلام العربي في نيويورك ، كانون الثاني ١٩٥٧ .

(٣) دافيد بن غوريون « بعث اسرائيل ومصيرها » ، نيويورك ، فيلوزوفيكال ليبراري ، ١٩٥٤ ، ص ٥٣٠ — ٥٣١ .

— الاسرائيلية — ذلك ان جيوش الدول العربية لم تدخل فلسطين الا بعد انسحاب القوات البريطانية وبعد تأسيس دولة اسرائيل وذلك بقصد حماية باقي الاراضي المخصصة للدولة العربية في فلسطين وللحيلولة دون وقوعها بأيدي الاسرائيليين »[4] .

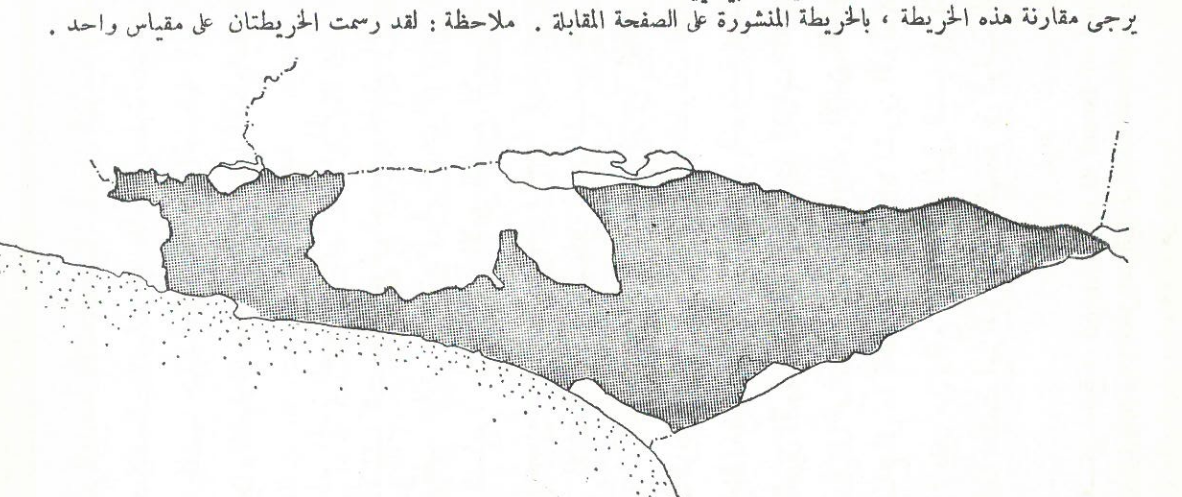
وقد أقدم الصهاينة على احتلال المزيد من الارض العربية اثناء الاشتباكات بين الجيوش العربية والجيش الاسرائيلي وابان فترة وقف اطلاق النار . وعلى الرغم من ان اوامر وقف اطلاق النار الصادرة عن مجلس الامن التابع للامم المتحدة — والتي قبلها الصهاينة والعرب — كانت واضحة كل الوضوح — فيما يتعلق بوقف الاشتباكات في فلسطين دون المساس بحقوق ومطالب العرب او اليهود وفيما يتعلق بعدم شرعية المكاسب السياسية والعسكرية الناتجة عن خرق احد الطرفين للهدنة — فان الصهاينة مضوا في تنفيذ خططهم التوسعية دون تردد . وفي ١٤ تشرين الاول عام ١٩٤٨ قامت القوات الاسرائيلية بغزو النقب وعلى الرغم من قرارات مجلس الامن الداعية الى اعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل ١٤ تشرين الاول ١٩٤٨ فان ذلك لم يغير من واقع احتلال اسرائيل للنقب في كثير او قليل. وهكذا اعلنت اسرائيل قبولها للهدنة في الوقت الذي اعلن فيه

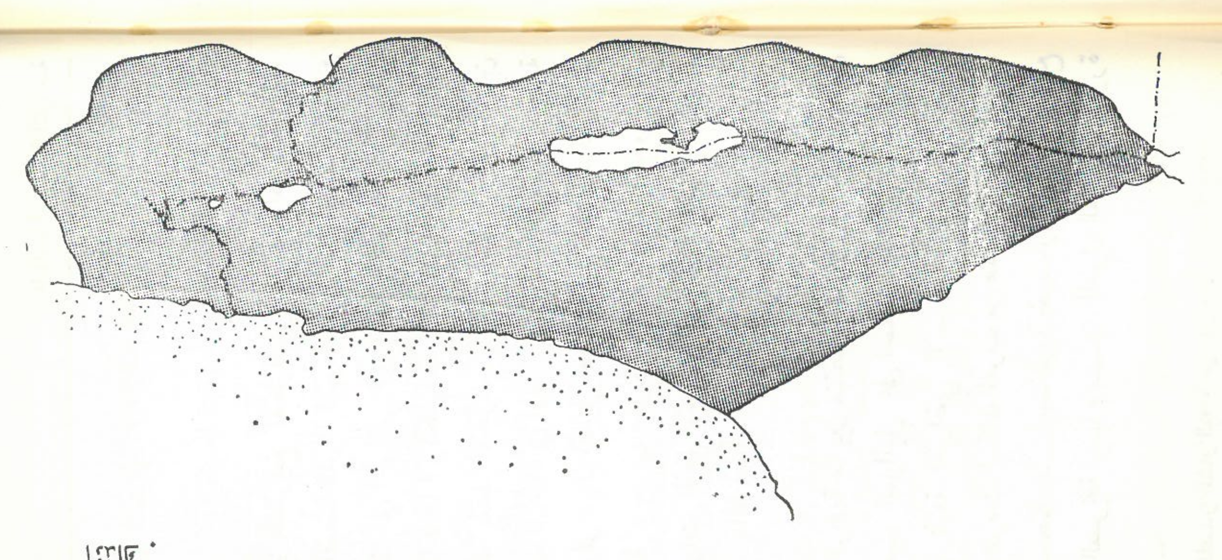
(٤) فايز صايغ ، « The Record of Israel at the United Nations » (سجل اسرائيل في الامم المتحدة) ، نيويورك ، مركز الاعلام العربي ، ١٩٥٧ ، ص ٢٨ .

الخريطتان المنشورتان على هذه الصفحة والصفحة المقابلة تظهران ما تضمره الحركة الصهيونية من نوايا توسعية في فلسطين وفي البلدان العربية المجاورة .

على هذه الصفحة ، يرى القارىء خريطة تبين الاراضي الفلسطينية التي اغتصبها الصهيونيون عام ١٩٤٨/١٩٤٩ ، والتي ما زالت تحتلها ، حتى الآن ، دولة المستوطنين الصهيونيين .

يرجى مقارنة هذه الخريطة ، بالخريطة المنشورة على الصفحة المقابلة . ملاحظة : لقد رسمت الخريطتان على مقياس واحد .





الخريطة المنشورة على هذه الصفحة تبين الاراضي الفلسطينية، واللبنانية، والسورية، والاردنية، التي طالبت الحركة الصهيونية رسمياً باحتلالها . جاء هذا الطلب في المذكرة التي قدمتها « المنظمة الصهيونية العالمية » في ٣ شباط (فبراير) عام ١٩١٩ الى مؤتمر الصلح ، والتي وصفت فيها المناطق المبينة هنا بانها ضرورية لانشاء البنيان الاقتصادي الصهيوني على اسس متينة .

ويجدر بالذكر ان المنظمة الصهيونية لم تغفل المطالبة ببعض الاراضي المصرية ايضاً . الا انها اعلنت في مذكرتها انها ترجيء تعيين حدود تلك الاراضي المصرية التي ترغب في احتلالها ريثما يصار الى « الاتفاق بشأنها » مع السلطات البريطانية التي كانت تحكم مصر آنذاك .

بن غوريون رئيس وزرائها « سوف نحتفظ بكل ما حصلنا عليه » [٥] .

وفي البدء ميز التشريع الاسرائيلي بين « اراضي الدولة » وهي الاراضي المخصصة للدولة اليهودية في توصية الجمعية العامة، «والاراضي المحتلة» اي الاراضي التي احتلتها القوات الاسرائيلية خارج النطاق المحدد لها ، ولكنها ما لبثت ان ألغت هذا التمييز فاعتبرت احتلالها لهذه الاجزاء نهائياً ودائماً . وقد اعلن بن غوريون في خطاب له ألقاه في اول ايار عام ١٩٥٥ نشرته صحيفة « الجويش اوبزيرفر » بان تعديل حدود اسرائيل لصالح العدو لن يتم الا بواسطة « حرب دموية ، حرب حياة او موت » . اما بالنسبة لقرارات الامم المتحدة فان « هذه القرارات تعتبر ميتة ولن تقوم لها قائمة ابداً » .

اما في الفترة الواقعة ما بين منتصف عام ١٩٤٩ وتشرين اول ١٩٥٦ فقد اقدمت اسرائيل على احتلال المناطق المجردة من السلاح واعتبرتها تابعة للاراضي الاسرائيلية ومارست فوقها حقوق السيادة وطردت السكان العرب من هذه المناطق واقامت التعزيزات والاستحكامات العسكرية خارقة بذلك جميع اتفاقيات الهدنة الصريحة بينها وبين الدول العربية المجاورة

(٥) بن غوريون ، المصدر المشار اليه ، ص ٢٤٧ .

ومخالفة قرارات مجلس الامن الدولي * .

وفي هذه الفترة ايضاً شنت اسرائيل غارات محدودة النطاق على الحمة (نيسان ١٩٥١) وقبية (تشرين الاول ١٩٥٣) وغزة (شباط ١٩٥٥) وعلى المناطق المجاورة لبحيرة طبريا (كانون الاول ١٩٥٥ وآذار ١٩٦٢) كما شنت غارات صغيرة اخرى اكثر من ان تعد وتحصى ، كانت موضع ادانة لجان الهدنة المشتركة . ولم تكن هذه الهجمات لتقتصر على جبهة عربية دون اخرى وان كان التركيز اوضح والاهداف المتوخاة اصرح بالنسبة للجبهتين المصرية والسورية .

ولئن كانت المحاولات التوسعية محدودة النطاق والغايات في تلك المرحلة فان الهجوم الذي شنته اسرائيل على قطاع غزة وسيناء بالتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا في آخر تشرين الاول ومطلع تشرين الثاني من عام ١٩٥٦ لم يكن حملة توسعية متواضعة او مستترة بل كان حرباً شاملة استهدفت احتلال ارض قطاع غزة وسيناء والاحتفاظ بها على اساس انها تشكل جزءاً من « الوطن التاريخي » « والتراث القومي » للصهيونية .

ولا شك في ان عدوان خريف ١٩٥٦ على غزة وسيناء

(*) للاطلاع على تفاصيل محاولات ضم اسرائيل للمناطق المجردة من السلاح راجع « سجل اسرائيل في الامم المتحدة » ، ص ٣٣ — ٥٥ .

واحتلالها لقطاع غزة واجزاء من سيناء يشكل دليلاً قاطعاً حاسماً لا على نوايا الصهيونية التوسعية في الوطن العربي وحسب، بل على استعداد الصهيونية وتحفزها الدائب وتخطيطها المستمر على وضع هذه النوايا موضع التطبيق عن طريق القوة في اي وقت تكون فيه الظروف مؤاتية لذلك .

فالتبريرات التي قدمها رئيس وزراء اسرائيل امام البرلمان الاسرائيلي لهذه الطفرة التوسعية العدوانية، والحجج التي رفضت الصهيونية على اساسها – طيلة اربعة اشهر – الانصياع لاوامر الامم المتحدة المتكررة لها بالانسحاب من غزة وسيناء، تدل دلالة قاطعة على ان اسرائيل تبيت مخططات مشابهة لجميع الدول العربية المجاورة . بل ان التوسع على حساب بقية الدول المجاورة له مبررات « صهيونية » اقوى وضواغط « اسرائيلية» اقتصـــادية وعسكرية اشد ، وان المسألة مسألة توقيت « وظروف مناسبة » لا اكثر ولا أقل .

ذلك ان مكاسب احتلال لبنان الجنوبي او احتلال مواقع الجبهة السورية او احتلال الضفة الغربية من الاردن توازي مكاسب « تجديد صلة الوطن اليهودي بجبل سيناء » من الناحية العاطفية والتاريخية بدليل ان المذكرات والمطالعات الصهيونية حول حدود الوطن القومي اليهودي في الفترة الواقعة ما بين ١٩١٦ – ١٩١٩ مثلاً كانت واضحة بالنسبة للاردن وسورية ولبنان الجنوبي بينما كانت غامضة بالنسبة الى سيناء ، كما ان

احتلال اي من المناطق المشار اليها او احتلالها كلها يعود على اسرائيل بمكاسب اقتصادية كبيرة (المياه والاراضي الزراعية مثــلاً) ومكاسب عسكرية (المواقع الستراتيجية والحدود الطبيعية) ومكاسب سياسية ومعنوية واضحة لا تحتـــاج الى تفصيل .

ان سجل اسرائيل العدواني – التوسعي لا يترك مجالاً للشك بان مطامع اسرائيل التوسعية هي اكثر من مجرد اماني واحلام : انها مخططات جاهزة للتنفيذ ، وهي اعمال وهجمات يدافع عنها الصهاينة بعد الاقدام عليها وهي اعمال وهجمات تقطع الشك باليقين ولا تدع مجالاً للتجاهل او التخاذل .

خاتمة

بعد كل ما تقدم من محاولة النفاذ الى دخائل العقل الصهيوني وسبر اغوار مخططاته التوسعية في الوطن العربي ، اترانا بحاجة الى التأكيد من جديد على ان الصهيونية خطر دائم يهدد المصير القومي للعرب ، ولا سيما في الاقطار المحيطة بفلسطين ، وان اسرائيل بحدودها الحالية ليست سوى خطوة في طريق الصهيونية نحو تحقيق « عودة ارض اسرائيل الى شعب اسرائيل » ، « وعودة المنفيين الى فلسطين بحدودها التاريخية »؟ ام ترانا بحاجة الى التشديد على جدية الخطر الصهيوني بعد ان لمسنا وطأة الدوافع العقائدية والسياسية والضرورات الاقتصادية والعسكرية والحاحها في اتجاه التوسع والعدوان على الاراضي العربية المجاورة ؛ بل بعد ان لمسنا الترجمة العملية المادية لهذه الدوافع كما حصل في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

ان حقيقة الخطر الصهيوني ودلالاته المادية ماثلة للعيان في التاريخ والمخططات والاعمال ، في اقوال الصهاينة وافعالهم ،

تتحدى كل متجاهل وتدين كل متخاذل وتهيب بالعرب الاحياء ان وقت العمل الموحد الهادف المبني على العقل والعلم والمعرفة وارادة الحياة الحرة الكريمة قد حان ، وان قد آن لهم ان يرتفعوا الى مصاف هذا التحدي التاريخي .

وقد استندنا الى المصادر الصهيونية الاولية نفسها في بحثنا هذا في المطامع التوسعية الاسرائيلية ، وكدنا نقتصر عليها دون غيرها ، لانا اردنا لهذا البحث ان يكون بحثاً موضوعياً علمياً ، لايماننا بان العاطفة وحدها لن ترد الخطر الصهيوني وانه لا بد لنا من العلم والمعرفة لتعبئة الامكانيات وصد الخطر ، وكل ما نرجوه ان نكون قد وفقنا في لفت الانظار الى جدية الخطر الصهيوني على الاقطار العربية المجاورة ومستقبل الاجيال العربية وحتمية لجوء الصهاينة الى العدوان والتوسع رائدنا في ذلك تنبيه ابناء الوطن الواحد والمصير الواحد الى ضرورة الاعداد لمواجهة الخطر الكبير .